أجاثا كريستي

المتهمة البريئة

ترجمـة

احمد حسن

الحريـــة

للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	المتهمة البريئة
ترجـــمـــة	أحمد حسن
الـنـاشــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ - ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١
رقم الإيـداع	٢٠٠٧/٤٧٣٩
الترقيم الدولى	1 -153-7200-977

الحريـــة 3 ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
للنشر والتوزيع 0123877921 - 25745679

مقدمة

(اليانور كاثرين كارليسل.. أنت متهمة بقتل مارى جيرارد فى اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو الماضى. فهل أنت مذنبة أو غير مذنبة؟...

ووقفت اليانور كارليسل منتصبة القامة وقد رفعت رأسها الجميل المتسم بالنبل.. وكانت زرقاء العينين سوداء الشعر رفيعة الحاجبين.

ومرت فترة سكون.. سكون ملحوظ.. وشعر محامى الدفاع سير ادوين بولمر بنوبة من اليأس.. دفعته الى التفكير.

– يا الهى.. انها ستعترف.. لقد فقدت أعصابها.. وانفرجت شفتا اليانور كارليسل لتقول:

ـ لست مذنبة..

وتهالك محامى الدفاع فى مقعده ومر بمنديل على جبهته وقد دار بخلده أنه نجا بأعجوبة من مأزق عصيب.

أما ممثل الاتهام سير صامويل آتينبرى فقد نهض واقفا وراح يسرد

وقائع القضية قال:

(اذا سمحتم لى سيادة القاضى ويا حضرة المحلفين.. فاننى أود أن أذكر لكم أنه فى اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو، وفى الساعة الثالثة والنصف مساء، ماتت مارى جيراد فى هانتربرى بمقاطعة ميدنز فورد..).

ومضى صوته رتيبا له وقع محبب الى الآذان حتى كاد يؤدى باليانور الى حالة تقرب من عدم الشعور ولم يحتفظ عقلها الواعى الا بجملة عرضية من التلخيص المبسط الدقيق الذى كان يلقيه ممثل الادعاء..

(فالقضية تمتاز ببساطتها.. ومن واجب الادعاء ان يثبت الدافع الى الجريمة، فلا يوجد أحد، حسب إدراكنا، لديه أى دافع لقتل تلك الفتاة المسكينة مارى جيرارد عدا المتهمة...

فالقتيلة فتاة ذات شخصية جذابة محبوبة من الجميع وليس لها عدو واحد على وجه الأرض..).

(..اننى أود أن أوجه اهتمامكم الى ما يلى:

١- ما هى الإمكانيات والوسائل التى كانت لدى المتهمة لتسميم القتيلة؟..

٢- وأى دافع كان لديها للأقدام على ذلك؟.

(... أما فيما يتعلق بتسميم مارى جيرارد فاننى سأقدم اليكم ما يدل على أنه لم يكن لدى أى شخص فرصة ارتكاب تلك الجريمة سوى

المتهمة..).

واخترقت تلك الكلمات الحاجز الكثيف الذى كان يحيط بأفكار اليانور وكأنها أشواك تخترق حجابا كثيفا خانقا..

أما المحكمة فكان فيها صفوف من الوجوه.. ومن بينها وجه خاص له شارب أسود كبير وعينان تدلان على الذكاء.. هو وجه هركيول بوارو وقد مال برأسه قليلا

وراح يرقب اليانور بعينين تدلان على التفكير العميق..

وفكرت اليانور فى أنه يحاول أن يعرف بالدقة لماذا ارتكبت تلك الجريمة: (أنه يحاول أن يصل بأفكاره الى داخل رأسى ليعرف ما فكرت فيه وما شعرت به..

ـ اننى شعرت بصدمة مصحوبة باشمئزاز قليل.. ثم وجه رودى.. ذلك الوجه الحبيب ذو الأنف الطويل والفم الحساس.. رودى.. رودى دائما ومنذ وعت ذاكرتى.. منذ تلك الأيام التى أمضيتها فى هنتر برى بين الشجيرات وعلى المرتفعات وبالقرب من الغدير.. رودى.. رودى..

ومن الوجوه الأخرى.. وجه الممرضة اوبريان ذات الفم المفتوح قليلا والوجنة المتناثر عليها النمش.. ووجه الممرضة هوبكنز.. ووجه بيتر لورد الشفوق.. المدرك. الحنون.. أنه الآن يتسم بنظرة تنم عن الضيق.. لقد أثر فيه كل ذلك تأثيرا شديدا.. على حين انها وهى الشخصية الأولى.. لا يهمها شئ..

ـ وكان ممثل الاتهام لا يزال يتكلم.. قال:

(.. فالوقائع فى هذه القضية تتميز بالبساطة المتناهية ولا يوجد من يعترض عليها وسأعرض عليكم فى بساطة تامة فمنذ البداية..

وهنا مضت اليانور تفكر..

- البداية.. البداية؟..

لقد كانت البداية فى ذلك اليوم الذى وصل فيه ذلك الخطاب البشع المرسل من مجهول

..

❋ ❋ ❋

خطاب من مجهول

خطاب من مـجـهـول..! .. وقـفت اليانور كارليسل تنظر الى الخطاب المفـتـوح فى يدها انها لم يمر بها شئ مـثل هذا من قـبل.. لقـد ترك فى مشاعرها احساسا غير حسن.. وكان الخطاب ردئ الكتابة ومكتوب على ورق رخـيص.. وقـد جاء به ما يلى:

(... اننى أنذرك.. اننى لا أذكـر أسـمـاء ولكن هناك من يحـاول استغلال عمتك.. فاذا لم تأخذى حذرك فلن يكون من نصيبك شئ. والفتيات (يتميزن) بالحذق. أما السيدات العجائز (فيتميـزن؟) بسهولة التأثير عليهن اذا ما تقربت الفتيات منهن وأمطرتهن بالزلفى.. واننى أقول انه من الأفضل لك ان تبدأى بمعرفة ما يدور. فليس من الصواب بالنسـبـة لك ان تحـرمى مما هو خـاص بك.. انهـا مـاهـرة جـدا. وقـد تموت السيدة العجوز فى أى وقت).

وكانت اليانور لا تزال تنظر الى الخطاب باشمئزاز عندما فتح الباب وأطلت الخادمة لتعلن مقدم (مستر ويلمان) وبعد هذا دخل رودى الحجرة. رودى الذى كلما وقعت عينا اليانور عليه احست بدوار خفيف وهزة من سرور مفاجئ..

كان واضحا لديها انها يجب ان تكون حذرة جدا. فالرجال لا يعجبون بالوله والهيام ومن الطبيعى ان رودى واحد منهم ولذا قالت فى استخفاف:

- هالو.. رودى..

- هالو يا حبيبتى.. ان ملامحك تنطق بالقلق فهل الأمر يتعلق (بفاتورة) واجبة الدفع؟.

فهزت اليانور رأسها نفيا.. وقال رودى:

- لقد ظننت ونحن فى منتصف الصيف ان الحسابات المستحقة تبدأ (فواتيرها) فى الانهمار

- لا.. أنه امر مزعج.. انه خطاب من مجهول..

وارتفع حاجبا رودى عجبا وتغيرت ملامح وجهه وقال فى استنكار.

- أحقا؟

وهنا اتجهت اليانور ناحية المكتب وهى تقول:

- أظن أنه من الأفضل ان أمزقه..

وكادت أن تفعل ذلك ولكن سرعان ما غيرت رأيها وقالت:

– ربما يكون من الأفضل أن تقرأه أولا.. ثم نقوم باحرافه بعد ذلك.. انه خاص بعمتى لورا..

ومرة أخرى ارتفع حاجبا رودى تعجبا وهو يقول:

– العمة لورا؟.

ثم أخذ الخطاب وقرأه فى امتعاض ثم اعاده اليها وقال:

– نعم.. لابد من احراقه.. حقا ان الناس مخلوقات غريبة..

– أتظن أنه من أحد الخدم؟.

وتردد رودى قبل أن يجيب:

– أظن ذلك ولكنى أعجب. من يكون؟. من يكون الشخص المعنى بالخطاب؟. اعنى الشخص الذى يحاول استغلال عمتك؟

فأجابت اليانور بعد تفكير..

– لابد أن تكون مارى جيرارد..

– مارى جيرارد؟. من هى؟

– انها ابنة القوم الذين يقطنون الكوخ ولابد انك تذكر عندما كانت طفلة. فقد كانت عمتى لورا مشغوفة بها وتبدى اهتماما بها حتى انها دفعت لها مصروفات مدرستها ومصروفات نثرية أخرى مثل دروس فى (البيانو) والفرنسية وغيرها.

– آه.. نعم.. اننى أذكرها الآن.. كانت طفلة نحيفة

فأومأت اليانور برأسها وقالت:

- نعم.. ومن المحتمل انك لم تراها منذ تلك العطلات الصيفية عندما كان كل من أبى وأمى فى خارج البلاد إذ كانت تزورنا فى هنتريرى بصورة مستمرة، وأذكر اننا كنا نبحث عنها لتلعب معنا كنا أطفالا.. وهى قد ذهبت أخيرا مرتين فى زيارة لألمانيا.

- وما شكلها الآن؟

- لقد تحولت فأصبحت جميلة ذات خصال طيبة وثقافة عالية.

ولكنها ليست على علاقة حسنة مع والدها اذ أنه يسخر منها.. من تعليمها ومن صلفها، أما امها فانها ماتت منذ سنوات.

وصمت اليانور قليلا ثم استطردت قائلة:

أظن انها تذهب الى منزل عمتى كثيرا لأنها تقرأ لها بصوت مرتفع منذ أن أصيبت بالنوبة المرضية الأخيرة.

- ولماذا لا تدع عمتك الممرضه تقرأ لها؟

- ان صوت الممرضة أوبريان أجش ولذلك فان عمتى لورا تفضل مارى عليها.

ومرت دقيقة أو دقيقتان أمضاهما رودى فى ذرع الحجرة جيئة وذهابا فى سرعة قبل أن يقول:

- أتعلمين يا اليانور اننى أعتقد انه من الواجب علينا ان نذهب الى عمتك.

- بسبب هذا؟.

- لا.. لا.. يجب على المرء أن يكون صريحا..

أن الخطاب ولا شك كريه.. ولكن قد يكون هناك بعض الصدق فيما جاء به.. اعنى أن عمتك مريضة جدا و...

- لعلك على حق يا رودى.

فنظر اليها وهو يبتسم ابتسامته الساحرة ثم أضاف:

- والنقود لها أهميتها.. لك ولى.. يا اليانور..

وأقرت اليانور بذلك فى سرعة..

- نعم.. انها هامة..

- اننى لا أعنى بذلك اننى مادى.. ولكن العمة لورا ذكرت مرارا وتكرارا انك انت وأنا نمثل عائلتها.. فأنت ابنة أخيها وأنا ابن أخ زوجها.. ولقد ثبت فى أذهاننا اننا سنرث كل ما تملك بعد موتها.

- نعم.. يا رودى.. هذا صحيح.

- ليست العناية بهنتريرى أمرا سهلا.. فعمى هنرى كان على ما أظن، فى سعة من العيش عندما قابل عمتك لورا ولكنها كانت قد ورثت وقتئذ. وبذلك كانت هى ووالدك على درجة كبيرة من الغنى ومع الأسف فقد والدك معظم ثروته بعد ذلك فى المضاربات.

وتنهدت اليانور.. ومضى الشاب فى حديثه. قال:

- نعم.. ان عمتك لورا كانت تتمتع بذهن أفضل منه.. لقد تزوجت العم هنرى ثم اشتريا هنتريرى ولقد ذكرت لى منذ مدة قصيرة انها كانت سعيدة الحظ جدا فى استثماراتها المالية.

- لقد ترك لها العم هنرى كل ما يملك عندما مات.. أليس

كذلك؟.

وأومأ رودى برأسه ايجابا ثم قال:

- لقد كان موته الفجائى كارثة.. كما انها لم تتزوج ثانية.. انها لعجوز مخلصة.. وقد كانت دائما طيبة معنا.. فلقد عاملتنى دائما وكأنى ابن أخ لها يمت لها بصلة الدم.. ولو وقعت فى مأزق ما تأخرت عن مساعدتى ولكن من حسن حظى اننى لم أقع فى مآزق قط.

وأضافت اليانور:

- وكانت كريمة جدا معى أيضا..

وأومأت رودى تصديقا لقول اليانور ثم قال:

- انها جوهرة.. ولكننى أظن أننا نحيا حياة بذخ

- أظن ذلك.. ان كل شئ يحتاج الى نقود.. الملابس.. والتجميل.. وأشياء أخرى مثل دور السينما والكوكتيل.

- اننى احبك لصراحتك أحبك لأنك رقيقة ومتعالية.. ولولا وجود العمة لورا لكان من المحتمل انك تقومين بعمل متعب تقيمين به أودك.. وكذلك الحال معى.. فلى عمل مع شركة لويس وهيوم ولو انه غير مثير الا أنه يلائمنى ويحفظ على كرامتى وثقتى بنفسى. بيد اننى لا اخشى المستقبل اعتمادا على ما انتظره من العمة لورا.

- هل تعنى بذلك اننا ككلاب جشعة..

- هراء.. لقد استقر فى فهمنا اننا يوما ما سيكون لدينا مال.. هذا هو كل شئ وهو وبطبيعة الحال يؤثر على تصرفاتنا.

- لم تقل لنا العمة لورا قط بطريقة واضحة كيف ستترك أموالها.

- هذا لا يهم.. فالمحتمل انها ستقوم بتقسيمه بيننا.. ولكن اذ كانت مثلا قد تركت كل مالها أو معظمه لك لأنك قريبتها فانني مع ذلك سأتقاسمه معك لأنني سأتزوجك.. واذا كانت الحبيبة العجوز تظن انه من الأفضل أن تذهب معظم ثروتها الى الرجل كممثل لآل ويلمان فهذا حسن أيضا لأنك ستتزوجينني.

واتبع ذلك بابتسامة عريضة وهو ينظر اليها فى إعزاز. ثم قال:

- ومن حسن الحظ أن كلا منا يحب الآخر.. انك تحبينني.. أليس كذلك يا اليانور؟.

- بلى..

- اننى أظن زواجنا سيكون مثاليا.. فكل منا يحب الآخر باعتدال.. ونحن أيضا صديقان مخلصان.. ولنا ميول متوافقة.. ويعرف كل منا الآخر جيدا.. ولنا كل المميزات التى يجب توافرها فى أبناء العمومة بدون النقائص التى فيهم.. واننى لا يمكن أن أشعر بالملل منك لأنك مخلوق يصعب السيطرة عليه أما أنت فقد تشعرين بالملل منى.. لأننى شخص (عادى)..

وهزت اليانور رأسها لتقول:

- اننى لن أشعر بالملل منك قط يا رودى..

يا حبيبتى..

ثم قبلها.. وقال:

- ان لدى العمة لورا فكرة عما بيننا على ما أظن ألا ترين أنه يحسن بنا الذهاب لزيارتها.

- هذا ما كنت أفكر فيه من أيام قلائل لأننا .... وأكمل رودى كلامها.

- منذ أصيبت بتلك النوبة كنا نذهب اليها كل أسبوعين تقريبا وها قد مضى علينا حوالى شهرين لم نذهب فيهما اليها.

- لو انها طلبت منا زيارتها لذهبنا فى الحال.

- نعم بطبيعة الحال.. نحن نعرف انها تحب الممرضة أوبريان وأنها ترعاها جيدا.. ومع ذلك.. فربما كنا مقصرين بعض الشئ.. وكلامى هذا ليس الدافع اليه الوجهة المالية بل الوجهة الإنسانية.

وأومأت اليانور برأسها ايجابا...

- أعلم ذلك..

- وعلى ذلك فان الخطاب القذر قد نتج عنه شئ طيب.. اذ علينا أن نذهب الى العمة لورا لنحافظ على مصالحنا ولاننا مشغوفون بتلك المرأة العجوز الحبيبة..

وأشعل رودى عود ثقاب وقربه من الخطاب الذى تناوله من يد اليانور.. ثم تمتم:

- ترى من الذى كتبه؟.. يظهر انه شخص يعمل لمصلحتنا وربما يكون بعمله هذا قد قام بعمل طيب لنا.. ومن يدرى فقد توصى العمة لورا بأموالها للطبيب الجديد الذى يقوم بعلاجها.

- حقا ان العمة لورا تحب دكتور بيتر لورد الذى يعالجها الآن. ولكن ليس الى هذا الحد.. ومع كل ذلك فان الخطاب الكريه قد جاء فيه ذكر فتاة.. ولابد انها مارى..

فقال رودى:

- سنذهب لنرى بأنفسنا..

* * *

خرجت الممرضة أوبريان من غرفة مسز ويلمان.. وقالت للممرضة هوبكنز:

- سأضع اناء الشاى فوق النار لأننى اظن انك محتاجة الى قدح من الشاى..

فأجابت الممرضة هوبكنز:

- حسنا يا عزيزتى.. اننى دائما لا أمانع فى قدح من الشاى الثقيل.

وقالت الممرضة أوبريان بعد ان ملأت الاناء بالماء وأشعلت الموقد تحته:

- ان لدى فى هذا (الدولاب) كل شئ.. اناء الشاى والأقداح والسكر، كما أن (ارنا) تجلب الى لبنا طازجا مرتين فى اليوم وبذلك ليس هناك ما يدعو الى قرع الأجراس..

وكانت الممرضة أوبريان طويلة القامة تناهز الثلاثين من عمرها ذات شعر أحمر واسنان ناصعة البياض وابتسامة ساحرة وقد أحبها

مرضاها لروحها المرحة ونشاطها. أما الممرضة هوبكنز فقد كانت الممرضة الرسمية للحى وكانت تحضر صباح كل يوم لتقديم مساعدتها فى ترتيب الفراش واستحمام السيدة العجوز البدينة، وكانت فى أواسط العمر وتمتاز بمظهرها الدال على الكفاية والحزم.

وقالت الممرضة هوبكنز فى رضاء:

– كل شئ يتم على ما يرام فى هذا المنزل.

وأومأت الممرضة الأخرى برأسها ايجابا.

– نعم.. ان بعض الأشياء قديمة.. فلا توجد تدفئة مركزية ولكن هناك مواقد كثيرة والخدم يتسمون بالطاعة، كما ان مسز بيتشوب تشرف عليهم جيدا.

فقالت الممرضة هوبكنز:

– اننى لا أطيق فتيات هذه الأيام فمعظمهن لا يعرفن ماذا يردن ولا يمكنهن أداء عملهن بصورة مرضية.

وعقبت الممرضة أوبريان قائلة:

– ان مارى جيرارد فتاة لطيفة.. ولا أعرف حقا ماذا تعمل مسز ويلمان بدونها.. هل لاحظت كيف سألت عنها الآن؟..

– أنا آسفة لمارى فان والدها العجوز يبذل قصارى جهده لإيلامها.

– ليست عنده كلمة طيبة واحدة يقولها لها.. ها هو ذا الماء قد بدا يغلى وسأبدأ بوضع الشاى.

وبعد قليل كان الشاى قد اعد وصب فى الأقداح ساخنا قويا

وجلست الممرضتان ترشفانه فى حجرة الممرضة اوبريان المجاورة لغرفة نوم مسز ويلمان.. وقالت أوبريان:

- سيحضر مستر ويلمان ومس كارليسل اذ وصلت منهما برقية بهذا المعنى صباح اليوم.

فقالت الممرضة هوبكنز:

- آه.. اذن هذا هو السبب الذى كانت من أجله السيدة العجوز فى حالة شوق وترقب.. الم يمر وقت طويل منذ آخر مرة حضرا فيها الى هنا؟.

- شهران أو أكثر.. ان مستر ويلمان شاب ظريف

وقالت الممرضة هوبكنز:

- أما أنا فقد رأيت صورة الفتاة منذ أيام فى احدى المجلات.

وعقبت الممرضة أوبريان قائلة:

- انها فتاة معروفة جيدا فى المجتمع وترتدى دائما ملابس أنيقة.. اتظنين انها حقا جميلة؟.

فردت الممرضة هوبكنز:

- من الصعب ان تعرفى حقيقة شكل الفتيات تحت وسائل التجميل الحديثة. وفى رأيى ان الفتاة ليست لها ملاحة مارى جيرارد.

وضمت الممرضة أوبريان شفتيها ومالت برأسها ثم قالت:

- ربما تكونين على حق ان مارى اجمل ولكن تنقصها الأناقة.

- ان الريش الجميل يجعل الطيور جميلة.

ومرة أخرى ملئت أقداح الشاى فقربت الممرضتان إحداهما من الاخرى.. وقالت الممرضة أوبريان فى همس:

حدث ليلة أمس شئ غريب فقد ذهبت فى الثانية صباحا كالمعتاد على العجوز فوجدتها مستيقظة ولكن لابد انها كانت تحلم قبل ذلك لاننى لحظة أن دخلت غرفتها سمعتها تقول: (الصورة لابد ان احصل على الصورة)..

فقلت: طبعا يا مسز ويلمان.. ولكن أليس من الأفضل أن تنتظرى حتى الصباح؟.

وهنا قالت:

- لا.. اننى أود أن أراها الآن.

فقلت: حسنا. وأين هى تلك الصورة؟ أتعنين صورة مستر رودريك؟..

فقالت: رودريك؟ كلا. صورة لويس.

ثم بدأت تتحرك فذهبت اليها لأجلسها ثم أخرجت مفاتيحها من الصندوق الذى بجوار فراشها وطلبت منى ان افتح الدرج الثانى من (الدولاب) حيث وجدت صورة كبيرة فى اطار فنى وكانت لرجل جذاب كتب على جانبها اسم لويس.. كانت صورة قديمة العهد بطبيعة الحال فأخذتها اليها حيث أمسكت بها ومضت تحدق فيها وقتا طويلا وهى تتمتم:

- لويس.. لويس..

ثم تنهدت وأعطتنى الصورة وطلبت منى وضعها فى مكانها وعندما استدرت كانت العجوز الطيبة قد عادت الى نومها وكأنها طفل صغير.

- أتظنين انه كان زوجها؟.

- لا.. لأننى سألت مسز بيشوب صباح اليوم بطريقة لا تثير الانتباه عن اسم ويلمان فقالت لى انه كان يدعى هنرى..

وتبادلت الممرضتان النظرات ثم قالت الممرضة هوبكنز:

- لويس. لويس.. عجبا! اننى لا أذكر اننى سمعت هذا الاسم فى هذه الإنحاء.

- لا تنسى ان ذلك كان منذ أعوام عديدة.

- نعم.. وبطبيعة الحال فاننى لم أحضر الى هذه المنطقة الا منذ عامين فقط.. و..

فقاطعتها الممرضة أوبريان:

- أنه شخص جذاب أنيق.. ومظهره فى الصورة يدل على أنه ربما كان ضابطا فى سلاح الفرسان..

ورشفت الممرضة هوبكنز من الشاى ثم قالت:

- هذا أمر مثير جدا..

فقالت الممرضة أوبريان فى لهجة حالمة:

- ربما كانا فتى وفتاة بينهما والد قاس.

فتمتمت الممرضة هوبكنز:

- وربما قتل خلال الحرب..

* * *

وعندما غادرت الممرضة هوبكنز المنزل أسرعت مارى جيرارد وراءها وقالت لها:

- هل يمكننى أن أسير معك حتى القرية؟.

- طبعا يا عزيزتى مارى.

فقالت مارى وهى تلتقط أنفاسها.

يجب ان اتحدث اليك.. اننى مشغولة جدا وقلقه. فنظرت اليها المرأة الأخرى فى حنان..

وكانت مارى فى الحادية والعشرين من عمرها، جميلة كالوردة المتفتحة، ذات عنق رقيق طويل، وشعر ذهبى باهت متموج بطبيعته، ولها عينان زرقاوان داكنتان.

- ما الأمر؟..

- الموضوع ان الوقت يمر ويمر وأنا لا أفعل شيئا..

- أمامك وقت طويل لذلك..

- كلا.. ولكن هذا يقلقنى.. لقد كانت مسز ويلمان كريمة معى.. فقد هيأت لى الذهاب الى المدارس الراقية وأنا أشعر الآن انه يجدر بى ان أبدأ بكسب عيشى.. يجدر بى أن أبدأ بالتدريب على شئ ما.

ولقد حاولت ان أشرح مشاعرى لمسز ويلمان ولكنى وجدت ذلك أمرا صعبا اذ يظهر أنها لا تفهم مشاعرى فهى تردد أن هناك فسحة من الوقت لذلك..

فقالت الممرضة:

- تذكرى انها امرأة مريضة..

واحمرت وجنتا مارى وقالت:

- أعرف ذلك.. وأظن أنه يجدر بى الا أسبب لها ضيقا..

ولكن هذا أمر يقلقنى وابى يسخر منى لذلك ويقول اننى أعيش عاطلة كالأثرياء والحقيقة اننى احب ان أقوم بعمل ما.

- اعرف ذلك.

- والمشكلة هى ان التدريب يتكلف كثيرا.. وأنا اعرف اللغة الألمانية الآن جيدا ويمكننى الإفادة من ذلك ولكننى فى الحقيقة أظن أننى أود لو كنت ممرضة فى مستشفى ما اذ اننى أحب مهنة التمريض.

- رما رأيك فى التدليك؟ انه يدر على العاملين فيه نقودا كثيرة..

- ولكن التدريب عليه يكلف كثيرا.. أليس كذلك؟ لقد كنت آمل.. ولكن هذا يعتبر جشعا منى بعد أن فعلت الكثير من أجلى..

- أتعنين مسز ويلمان؟ هراء. فى رأيى أنها مدينة لك بذلك فقد أعطتك ثقافة عالية ولكنها ليست الثقافة التى تفيد صاحبها كثيرا.. ألا ترغبين فى التدريس؟..

- لست بارعة الى هذا الحد.

- أذن اليك نصيحتى.. كونى صابرة فى الوقت الحاضر يا مارى.. وفى رأيى -كما قلت لك- ان مسز ويلمان مدينة لك وأن عليها أن تساعدك على البدء باكتساب رزقك وهى لا شك فى انها ستفعل ذلك فهى مشغوفة بك ولا تريد ان تفقدك.

- أوه.. أتظنين حقا ان الأمر كذلك؟

- لا يخالجنى فى ذلك أقل شك.. فها هى ذى امرأة عجوز عاجزة مشلولة جزئيا، ولا يوجد شئ أو شخص ما يسرها. فمن الطبيعى ان وجود فتاة جميلة يانعة معها فى المنزل يعنى بالنسبة اليها الشئ الكثير وخاصة انك (تتميزين) بطريقة جميلة فى معاملة المرضى.

فقالت مارى فى رقة:

الحق اننى مشغوفة جدا جدا بالعزيزة مسز ويلمان.. طيبة معى وأنا على استعداد لعمل أى شئ فى سبيلها.

- اذا كان الأمر كذلك فأفضل شئ يمكنك عمله هو البقاء حيث أنت ودعى القلق ولن يستمر الأمر طويلا..

- ماذا تعنين؟

- انها الآن فى صحة جيده ولكن لن يستمر ذلك طويلا ستصاب بنوبة ثانية ثم نوبة ثالثة.. واننى أعرف ذلك جيدا.. فكونى صابرة يا عزيزتى اذ انك اذا ملأت الأيام الأخيرة سعادة للسيدة العجوز فان ذلك أمر أفضل من غيره.. أما ما عدا ذلك فله وقته فيما بعد..

- أنت طيبة جدا..

فردت عليها الممرضة هوبكنز قائلة:

- اننى أرى والدك خارجا من المنزل..

كانتا وقتئذ قد اقتربتا من البوابة الحديدية الضخمة للمنزل.

وكان هناك رجل كبير السن محنى الظهر قادم نحوها.. فقالت له الممرضة هوبكنز فى انشراح:

- طاب صباحك يا مستر جيرارد.

فكان رد افرايم جيرارد فى جفاء:

- آه..

- جو جميل..

- ربما كان بالنسبة لك.. ولكنه ليس كذلك بالنسبة لى.. فان اللمباجو يؤلمنى..

- ذلك على ما أظن نتيجة الجو الرطيب الذى انتشر فى الأسبوع الماضى.. أما هذا الجو الجاف الموجود الآن فسيزيل فى القريب آلامك..

ويظهر أن لهجتها المتسمة بالخبرة قد ضايقت الرجل العجوز لانه اجابها قائلا:

- ممرضات. ممرضات. كلكن سواء. تمتلئن انشراحا لمتاعب غيركم. ثم تأتى مارى وتقول انها هى الأخرى تريد أن تصير ممرضة.

فردت عليه مارى بحدة:

- نعم.. اريد أن أكون ممرضة فى مستشفى..

- نعم.. والأفضل الا تعملى أى شئ على الإطلاق. أليس كذلك؟ يكفيك أن تسيرى وكأنك سيدة عالية المقام والا تفعلى شئيا.. الكسل هو الشئ الذى تحبينه يا ابنتى.

فقالت مارى محتجة والدموع فى مآقيها:

- هذا ليس صحيحا يا أبى. وليس من حقك ان تقول لى ذلك.

وهنا تدخلت الممرضة هوبكنز بلهجة تحاول أن تبعث بها المرح:

- من الواضح أن الجو قد أثر علينا هذا الصباح.. أليس كذلك؟ انك لا تعنى ما قلت حقا يا جيرارد.. فمارى فتاة طيبة وابنة كريمة.

فنظر جيرارد الى ابنته نظرة من يتمنى لها السوء وقال:

- اننى لا أعدها ابنتى..

ثم استدار ومشى الى داخل المنزل..

وهنا قالت مارى والدموع فى عينيها:

- .. انه فى الواقع لا يحبنى حتى عندما كنت طفلة صغيرة اذ كانت أمى دائما تدافع عنى..

فردت عليها الممرضة هوبكنز فى حنان:

- كفى. كفى.؟ لا تقلقى. وعلينا أن نجتاز هذه المحن الصغيرة. يا الله! على أن أسرع حتى أتم جولتى الصباحية.

الأفـاق

رقـدت مـسـز ويلمـان فى فـراشـهـا متكئـة علـى وسـائد رتبت فى عناية واهتـمام، وكانت أنفاسها متثاقلة ولكنها لم تكن نائمة بل ظلت تحملق فى السـقف بعـينيـهـا الغـائرتين الزرقـــاوين، وهـى امـــرأة مكتنزة الجسم جميلة المحيا، يرتسم العزم والاعـتـداد فى وجـهـهـا الذى لم تجعده يد الزمن والمرض.

وأخيرا استقرت عيناها على مارى الجالسة بجوار النافذة ثم غمغمت باسمة حانية: أهذه أنت يا مارى!! فاستدارت اليها الفتاة على الفور قائلة:

- أوه. هل استيقظت يا مسز ويلمان

فاجابتها لورا ويلمان:

- نعم. منذ قليل.

- أوه. لو كنت أعرف لما..

- شكرا. شكرا. كنت فقط أفكر فى أشياء كثيرة. اننى مغرمة بك يا عزيزتى وانك تساوين عندى كثيرا.

- هذا فضل منك يا مسز ويلمان.. ولا أدرى ماذا كنت أصنع الآن لولا عطفك وحنانك ورعايتك. لقد فعلت من أجلى كل شئ.

فقالت العجوز فى قلق، ويمناها الى جانبها فاقدة الحراك:

- لا أدرى. لا أدرى. ان الإنسان يود أن يعمل أفضل الأمور. ولكن من الصعب أن يعرف خيرها وأصوبها.

- أنا واثقة انك آثرتنى بأفضل وأصوب الأمور.

فهزت المريضة رأسها وقالت:

- كلا كلا. انى يتمشى فى دمى شيطان الكبرياء الذى انحدر الى عن طريق أسرتى كما انحدر الى ابنة أخى اليانور أيضا.

- سوف تدخل مس اليانور رودريك على نفسك السرور بمجيئهما.

- كم أحب هذين الطفلين!! أنا واثقة دائما أنهما يجيئان بمجرد أن أدعوهما، ولكنى لا أحب أن أطلبهما كثيرا، لأنهما صغيران سعيدان ولا حاجة تدعو الى إدخال الأسى على قلبيهما قبل الأوان.

- وأنا واثقة أن رؤيتهما لك ستسرهما كل السرور.

واستطردت مسز ويلمان تقول كأنما تحدث نفسها أكثر مما تحدث الفتاة.

- لقد كنت أرجو دائما أن يربطهما الزواج دون أن أحاول اقتراح ذلك لأن الشباب عنيد بطبعه، ولقد تبينت منذ كانا طفلين أن اليانور تحبه كثيرا ولكننى لم أكن واثقة من ناحيته لأنه مخلوق متحفظ فى كل شئ منذ صغره، وكذلك كان زوجى هنرى من زمن بعيد ولكن الموت عاجله ولم يمض على زواجنا خمس سنوات. مات بالتهاب رئوى مضاعف، فشعرت بالوحدة وأنا فى السادسة والعشرين من عمرى، وأنا الآن قد تجاوزت الستين، ويقعدنى الشلل ويجعلنى كالطفلة بلا حول ولا طول.. ولولاك يا ابنتى لجننت من هذا العجز.

- أنا سعيدة بأن أدخل بعض السرور على نفسك يا مسز ويلمان.

- أما مستقبلك فدعيه لى يا ابنتى، وسأتكفل بأن أهيئ لك أسباب الاستقلال والعمل الذى يلائمك، ولكن عليك أن تصبرى قليلا وتعتقدى أن بقاءك معى هنا يعنى شيئا كثيرا.

- اننى أوثر البقاء معك على الدنيا بأسرها.

- أنت فى منزلة ابنتى تماما يا مارى. وقد رأيتك تترعرعين هنا فى هنتريرى الى أن غدوت فتاة جميلة أفخر بها وأرجو أن أكون قد بذلت قصارى ما أستطيع من أجلك.

- اذا كان والدى لا يروقه ما بلغته من التعليم فاننى مدينة لك بهذا الفضل الكبير، واذا كنت أتلهف على كسب قوتى فذلك فقط

لأننى أشعر أن من واجبى أن أسعى لإعالة نفسى ولاننى لا أطمع من ورائك فى أكثر مما قدمته الى.

- لا تبالى بما يقوله والدك، انا التى تلح عليك وترجوك ان تبقى هنا الى أن ينتهى قريبا كل شئ.

- كلا يا مسز ويلمان! ان الدكتور لورد يقول انك قد تعيشين سنين طويلة.

- هذا لا يهمنى.. بل قد طلبت الى الدكتور لو يستطيع أن ينقلنى الى العالم الآخر بلا الم... ولكنه لم يؤت الشجاعة الكافية، وقال أنه لن يخاطر بالتعرض للمشنقة ولو أعطيته كل ثروتى.

- شكرا له.. ما هذا أهى السيارة؟.

ثم أسرعت تطل من النافذة. وعادت تقول:

- نعم السيارة التى تقل الآنسة اليانور ومستر رودريك.

* * *

واستقبلت العجوز ابنة أخيها بابتسامة مشرقة، وهى تقول:

- يسرنى أن أراك يا اليانور ومعك رودى.. أتحبينه يا ابنتى.

- طبعا.

- سامحينى يا عزيزتى - فانت كما عرفتك- شديدة التحفظ، ويصعب أن يعرف الانسان فيم تفكرين، وماذا تحسين. لقد شاهدتكما وأنتما طفلان صغيران ينمو الحب فى قلبيكما وظللت تهتمين به الى

أن رأيتك تعودين من ألمانيا، وكأنما اعترى عاطفتك نحوه بعض التغير، والواقع انى أسفت لذلك كثيرا، وخشيت أن تكون هذه الظاهرة باكورة الاعتداد الشديد بالنفس الذى يسرى فى دماء أسرتنا..

أما الآن وقد أقررت بانك تحبينه. فأنا اشعر بالسعادة تملأ جوانحى.

– الواقع اننى احبه يا عمتى ولكن ليس الى الحد الذى تتصورينه.

– كيف؟ أحدث شئ ينغص سعادتك؟

– كلا ولكننى أدين بالرأى القائل، دعى صديقك يخمن وحذار أن تجعليه واثقا من انك تحبينه.

– يخيل لى انك لست سعيدة يا طفلتى فماذا جرى؟

– لا شئ على الاطلاق.

ثم مضت الى النافذة واستدارت قائلة:

– أخبرينى صراحة يا عمتى:

- أترين ان الحب يجلب السعادة

– بالمعنى الذى تقصدينه ربما كلا، لأن شدة التعلق بانسان تورث الهم أكثر مما تجلب السعادة، ولكن الحب فى الوقت نفسه غذاء ضرورى للروح وما عاش من لم يعرف طعم الحب.

وقبل أن تجيب الفتاة فتح الباب وقدمت الممرضة أوبريان تقول:

- لقد جاء الدكتور لعيادتك يا مسز ويلمان.

ودخل الطبيب بوجهه الذى تشوبه بعض الدمامة وقد تألقت عيناه الزرقاوان ببريق الذكاء.. وكان لا يعدو الثلاثين من عمره فقال:

- طاب صباحك يا مسز ويلمان.

- طاب صباحك يا دكتور لورد... هذه ابنة أخى مس اليانور كارليسل.

فوثب الإعجاب الى وجه الطبيب الشاب ثم قال:

- كيف حالك؟

ثم ضغط يد الفتاة فى كفه كما لو كان يود تحطيمها؟ واستطردت العمة تقول:

- لقد جاءت اليانور لترفه عنى فى وحدتى.

فقال:

- حسنا فعلت! هذا نفس ما تحتاجين اليه، أنا واثق أن هذا سيعود عليك بتحسن كبير.

وكان لا يزال يرنو الى الفتاة وبريق الاعجاب يتألق فى عينيه الثاقبتين وقالت اليانور وهى تتحرك نحو الباب.

- قد أراك يا دكتور قبل أن تنصرف.

فتمتم: طبعا. كما تشائين!

وقالت مسز ويلمان:

ـ أظن أننا يجب ان نبدأ الروتين العادى:

ـ نبض وتنفس ودرجة الحرارة والضغط يالكم من أفاقين يا معشر الأطباء!

فضحك الطبيب عاليا، ثم ألقى عليها الأسئلة التى اعتادتها منه فى كل مرة وقال:

– أنت تتحسنين باطراد يا سيدتى!

– اسيكون فى وسعى السير فى انحاء المنزل فى مدى أسابيع.؟

– ليس بهذه السرعة.

– اذن ما فائدة الحياة أيها الأفاق اذا قضتها امرأة مثلى فى فراشها ليعنى بها الآخرون كالطفلة الصغيرة!

– فائدة الحياة، ان الانسان يعيش لأن به غريزة حب الحياة فحسب. أما أولئك الذين حصلوا على كل شئ يعيشون من أجله فانهم يتركون نفوسهم تذوى وتفنى لأنهم لم يعد لديهم الرغبة فى الكفاح والنضال.

– استمر فى فلسفتك.

– أنت احدى من يردن الحياة مهما قلت واذا كان جسمك يرغب فى الحياة فلا يجب أن يتجه العقل اتجاها آخر ثم نهض قائلا:

– آن لى أن أذهب من هنا.

- ابنة أخى تريد أن تتحدث اليك كما قالت؟، وبهذه المناسبة ما رأيك فيها.

فتضرجت وجنتاه فجأة وقال:

- أنا.. أوه..! انها غاية فى الجمال وتبدو عليها مخايل الذكاء

وكان رودى يتجول فى الحديقة الى أن بلغ حقل الخضر، وراح يتساءل ترى هل قدر له أن يعيش واليانور فى هذا الريف الجميل يوما ما؟ وكان يخشى أن تؤثر خطيبته الإقامة فى لندن، وما لبث أن تمتم قائلا:

- انها كاملة فى كل شئ ولا ينقصها شئ، انها تسر العين بجمالها وتطرب الاذن بحديثها الطلى الذكى ومن حسن حظى أن ظفرت بها.

ذلك أن رودريك لم يكن فى الواقع ممن يغترون بأنفسهم فما لبث أن غمغم بين شفتيه: لا أدرى ماذا أعجبها فى حتى تحبنى كل هذا الحب؟!

ولم يشأ أن يطالبها بالزواج فى الحال بل ترك لها أن تختار الموعد الذى يروقها ما دام واثقا بأنها متيمة به، تكاد تعبده عبادة رغم ما يغلب عليها أحيانا من التحفظ وعدم الإسراف فى إظهار وجدها بدافع من تعاليمها الموروثة.

ومضى الى الحديقة المسورة خلال بوابة فى النهاية البعيدة، ثم راح يتجول فى الغابة الصغيرة الزاخرة بزهور الربيع.

وتقدمت نحوه من بين الأشجار فتاة ما أن شاهد شعرها الأشقر

ووجهها الصبيح حتى هتف لنفسه قائلا:

- حقا ما أجملها وأروعها!

وشعر بشئ يمسك به وكأنما تخدرت أوصاله، وراح يحملق فى الفتاة وكأنه عابد فى محراب، ووقفت الفتاة فجأة ثم اتجهت نحوه وهو ما زال فاغرا فمه وسألته فى تردد:

- ألا تذكرنى يا مستر رودريك؟

- لقد انقضى وقت طويل بلا شك أنا مارى جيرارد التى تقيم فى الكوخ.

- أوه، اوه أنت مارى جيرارد؟

- نعم.

وتولاه الحياء فقالت:

- لقد تغيرت كثيرا منذ رأيتك ولذلك لم تعرفنى.

فقال:

- نعم تغيرت كثيرا.

ووقف يحملق فيها ولم يسمع خلفه وقع أقدام اليانور تقترب منه والتفتت مارى الى اليانور التى ما لبثت ان هتفت:

- هالو. مارى!

فابتسمت هذه وقالت:

- كيف حالك يا مس اليانور، اننى مسرورة برؤيتك لقد كانت مسز ويلمان تتلهف على مجيئك.

- شكرا. لقد ارسلتنى الممرضة اوبريان لأبحث عنك لأنها تريد أن ترفع مسز ويلمان وتقول انك التى اعتدت القيام بذلك.

- سأذهب فى الحال:

وأسرعت تجرى بينما اليانور ترمقها وتتأمل قامتها الرشيقة وتمتم خطيبها:

- لقد غدت رائعة الجمال؟

فلم تجب اليانور بل ظلت صامتة لبضع لحظات وأخيرا قالت ذاهلة: حان وقت الغداء، يحسن أن نعود.

وسارا جنبا الى جنب فى طريقهما الى المنزل دون أن يتبادلا كلمة واحدة.

- تعالى يا مارى، انه فيلم عظيم يدور كله حول باريس.

- أشكرك كثيرا يا تيد ولكنى لا أستطيع.

فاحتقن وجه (تيد بيجلاند) بالغضب وصاح:

- لم أعد أقوى على حملك فى هذه الأيام على الخروج معى؟

لقد تغيرت كثيرا جدا.

- كلا، لم أتغير قط يا تيد

- كل ذلك لأنك دخلت مدرسة عالية بألمانيا ولم تحفلين بنا!!

- هذا غير صحيح.. انا لست من هذا الطراز يا تيد.

وتطلع إليها الشاب فى إعجاب رغم غضبه ثم قال:

- نعم.. لقد غدوت (سيدة) بكل معنى الكلمة. انك تشبهين (كونتيس) أو دوقة.

وظهرت لهما اذ ذاك مسز بيشوب بقامتها المديدة وثوبها الأسود الجميل وحدجتهما بنظرة حادة فتحرك الشاب خطوتين جانبا وقال:

- طاب يومك يا مسز بيشوب.

فمالت برأسها الجميل وقالت:

- مساء الخير يا تيد.. مساء الخير يا مارى.

ثم مرت أشبه بالمركب الشراعى فتأملها تيد فى احترام وتمتمت مارى:

- انها للأسف لا تحبنى وتتعمد أن تخاطبنى بلهجة جارحة.

- انها تغار منك.. هذا كل ما هنالك.

- ربما كان هذا هو السبب.

- بل لا سبب غير ذلك. لانها قضت سنوات طويله تأمر تهيمن فى هنتربرى ثم ها هى تراك وقد احتلت المكانة الكبرى عند العجوز مسز ويلمان!

- لا ذنب لى فى ذلك كل مـا أتمناه أن يحـبنى كل إنسـان... لقـد تأخرت يا تيد ويجب أن أذهب..

- الى أين؟

- سأتناول الشاى مع الممرضة هوبكنز.

فقال متجهم الأسارير متقززا.

- مع ذات الأنف الطويل واللسان الثرثار!؟

- الى اللقاء يا تيد.

* * *

وكـانت المـمرضـة هوبكنز تقـيم فى كوخ صـغـيـر فى نهـاية القـرية، وكانت اذ ذاك تخلع قبعتها لانها كانت فى الخارج وعادت لتوها فلما شاهدت (مارى) قالت:

- لقد سـاءت حـال العـجـوز مسـز كالديكوت مـرة أخرى وأنا قادمة على الفـور من عندها. لقـد شـاهدتك مع تيـد بيـجـلاند فى نهـاية الطريق. هل كان يسر اليك شيئا خاصا؟

- كلا. تير طلب منى ان أرافقه الى السينما.

- انه شاب لطيف وعمله بالجراج لا بأس به، كما أن أباه من انشط الفلاحين هنا.. ولكنك فى الحقيقة بتعليمك وثقافتك لا تستطيعين أن تكونى زوجة له ولو كنت فى مكانك لتدربت على التدليك عندما يحين الأوان.

- لقد صارحت مسز ويلمان بذلك أخيرا فلم تشأ أن ابتعد عنها وطلبت الى ألا أهتم بالمستقبل لانها ستعيننى عليه.

وكأنما أرادت مارى أن تغير مجرى الحديث فقالت:

- أتعتقدين أن مسز بيشوب تكرهنى أم أن هذا وهم منى؟

- يخيل الى انها تكره الشباب ولا ترضى أن ينعم أحد دونها بربيع العمر ومرحه ونشاطه ولعلها تنفس عليك ما تراه من أن مسز ويلمان مغرمة بك كثيرا.

ثم ضحكت وقالت:

- لو كنت فى مكانك ما اهتممت لشئ، افتحى هذه الورقة يا عزيزتى والتهمى كمكتين مما فيها.

(أصيبت عمتك بنوبة ثانية فى الليلة الماضية... لا داعى للقلق العاجل ولكنى اقترح أن تحضرى اذا أمكن - الإمضاء: دكتور لورد).

وما أن تلقت اليانور هذه البرقية حتى بادرت تتحدث تليفونيا الى (رودى)، ثم استقلا أول قطار الى هنتربرى، وكانت لم تر خطيبها فى الأسبوع الذى انقضى منذ عودتهما من هنتربرى الا مرة واحدة، كان لقاؤهما فى أثنائها قصيرا، كما أنه - على غير عادته- أرسل لها باقة من الورد! وراح فى الطريق يتودد لها، وكأنما يمثل دور الخطيب المدله، بينما كان حديثها معه أكثر اعتداد وتشامخا.

قالت فى نبرات تفيض بالاسى.

- مسكينة عزيزتنا العجوز! لقد كانت بخير عندما غادرناها:

فأجابته اليانور:

- انهـا تكره المرض، ويخيل الى أن كـثيـرا من المرضى أولى بأن ينقذوا من آلامهم وأن ينعموا بالراحة التى ينشدونها.

- الواقع أن هذا خيـر مـا يجب ان تعـمله المدنيـة، واذا كنا أحيـانا نريح الحـيـوان من آلامـه، فـالإنسـان أولى بذلك لولا أن أباحـه هذه النظرية تمكن الأقارب من القضاء على مورثهم بحجة أراحته من آلامه المبرحة.

- يمكن أن يترك هذا لحكم الطبيب.

- قد يكون الطبيب وغدا.

- نعم ليس جميع الأطباء فى استقامة الدكتور لورد.

* * *

وكـان الدكتـور لورد منحنيـا على فـراش المريضـة وخلفـه الممـرضـة أوبريان، وكـان يحـاول أن يفهم مـعنى كل صـوت ينبـعث من بين شـفـتى العجوز ويقول:

- نعم.. على مهلك.. فقط ارفعى يدك اليمنى قليلا اذا أردت أن تقولى (نعم).. هل يشغلك شئ؟

فرفعت يدها اليمنى قليلا علامة الإيجاب، فعاد يسألها:

- اهو شئ عـاجل تريدين أن تعـمليـه؟ انرسل الى أحـد؟ الى مس

اليانور؟ ومسز ويلمان؟ انهما فى طريقهما الى هنا.

وبعد أن ترك المريضة الواهنة، تستريح لحظة عاد يسألها على طريقته:

- أنت لا تريدين مجيئهما؟ اتريدين شخصا آخر؟

ـ أهو قريب؟ شخص تربطك به أعمال؟ عمل خاص بمسائل مالية؟ المحامى؟ أتريدين مقابلته حسنا جدا! ماذا تقولين؟

ـ اليانور؟ أتريدين أن تقولى انها تعرف المحامى وتستطيع أن تعد معه الأمور؟

ـ حسنا.. سوف تكون هنا قبل نصف ساعة.. سأخبرها بما تريدين، اتركى هذا لى.

وتبعته الممرضة اوبريان الى الخارج، وكانت الممرضة هوبكنز ترتقى الدرج فأومأ لها برأسه فقالت عندما بلغته:

- طاب مساؤك يا دكتور.

- طاب مساؤك.. تعالى معنا..

ثم دخل بهما الى حجرة اوبريان التالية حيث ألقى عليهما بعض التعليمات وأمر هوبكنز بان تعمل طوال الليل وأن تتناوب مع زميلتها اوبريان ثم قال:

- أرجو أن أتمكن غدا من إحضار ممرضة مقيمة فقد استنفذت الدفتريا اللعينة معظم الممرضات فى ستامفورد.

ثم هبط الدرج لاستقبال ابنة الأخ وخطيبها. وفى الردهة قابل مارى لجيرارد بوجهها الشاحب وأساريرها القلقة فقال لها يهدئ خاطرها:

- ستنام الليلة نوما هادئا..

* * *

صاحت اليانور عندما دخلت غرفة الاستقبال:

- هل حالتها فى غاية السوء؟

وكان رودى شديد الامتقاع فقال الطبيب:

- يؤسفنى أن أقول انها أصيبت بشلل كامل وان لسانها يكاد لا يقوى على النطق.. وبهذه المناسبة انها.. تتلهف على رؤية محاميها فهل تعرفينه يا مس اليانور؟

- نعم.. انه مستر سيدون ولكنه لن يكون موجودا بمكتبه فى مثل هذا الوقت من المساء ولا أعرف عنوان منزله.

- اذن نرجئ ذلك للغد صباحا.. ومن صالحها ألا نزعجها الليلة بقدر الإمكان تعالى يا آنسة فقد نتمكن من بعث الطمأنينة فى نفسها.

- طبعا.. سأصعد معك فى الحال.

وسألها رودى فى شئ من التخاذل:

- اتريديننى معك؟

وكانت تعرف أنه يكره ان يرى المريضة طريحة الفراش بلا حول ولا قوة فأجابته:

- لا داعى لذلك.. ويحسن ألا تزحم غرفة المريضة.

فتنفس الصعداء، وصعدت الفتاة مع الطبيب حيث وجدا الممرضة اوبريان مع العجوز وكانت هذه تتنفس فى صعوبة وعمق وسرعان ما انبسطت أساريرها عندما فتحت عينيها وشاهدت اليانور ثم تمتمت باسمها فى صعوبة فقالت الفتاة:

- أنا هنا يا عمتى. أتريدين أن أرسل فى دعوة مستر سيدون؟ ماذا تريدين؟ مارى جيرارد؟ هل أدعوها؟ اذن ماذا؟

وجاهدت المريضة حتى نطقت بكلمة (ذخيرة) فقالت ابنة أخيها:

- ذخيرة؟ أتعنين انك تريدين أن تتركى لها بعض المال فى وصيتك؟ هذا سهل جدا فسوف يأتى مستر سيدون فى الصباح وسنعد كل شئ يحقق رغبتك..

فبدأ الارتياح على المريضة وتبددت من نظراتها الضارعة إمارات الضيق والخوف. وأمسكت اليانور بيدها فشعرت بأصابعها الهزيلة الناحلة تضغط راحتها بالشكر والارتياح وعادت العجوز تغمض عينيها فوضع الطبيب يده على ذراع الفتاة وجذبها برفق الى خارج الغرفة واستعادت الممرضة أوبريان مقعدها بجوار الفراش.

وفى الخارج على درج السلم كانت مارى جيرارد تتحدث مع الممرضة هوبكنز غما ان شاهدت الطبيب حتى سألته ضارعة:

- هل أستطيع ان ادخل اليها يا دكتور لورد؟

فأومأ برأسه وقال:

- فى هدوء.. بحيث لا تزعجينها..

فدلفت الى حجرة المريضة، وعينا اليانور ترمقها بحيث لم تسمع كلمات الطبيب الذى كان يتحدث اليها، وما لبث أن أفاقت لنفسها وقالت: معذرة يا دكتور.. ماذا كنت تقول:

وتولاه الارتباك فأجاب:

- ماذا كنت أقول؟ لا أتذكر.. الواقع أن مجيئك هو احسن ما حدث اليوم..

- لقد آلمنى أن أراها هكذا..

- يبدو انك تعرفين كيف تمسكين زمام عواطفك لأنه لم يظهر عليك مبلغ هذا التأثير الكبير..

- لقد تعلمت كيف أخفى مشاعرى عند الحاجة..

فقال الطبيب فى تؤدة:

- سوف ينحسر هذا القناع يوما ما..

ومرقت الممرضة هوبكنز الى الحمام، ورفعت اليانور حاجبها الرقيق وتأملت وجهه قائلة: القناع؟

- أن الوجه البشرى قناع لا أكثر ولا اقل.

- وماذا تحته..؟

- الرجل أو المرأة البدائية..

فاستدارت بسرعة وتقدمته تهبط الدرج فتبعها وهو نهبة الحيرة والارتباك وخرج رودى الى الردهة لاستقبالهما وسألهما فى لهفة:

- كيف الحال..؟

فقالت اليانور:

- ان منظرها يبعث على الأسى. لا تدخل حتى تسأل عنك.

- ألم تطلب شيئا بصفة خاصة؟

واذ ذاك قال الطبيب للفتاة:

- يجب أن انصرف الآن فليس لدى هنا ما أعمله، سأعود مبكرا فى صبيحة الغد. لا تستسلمى لليأس يا مس كارليسل الى اللقاء.

وأمسك بيدها بضع لحظات وهو يرنو اليها فى إعجاب ممتزج بالرثاء لجزعها، وعندما أغلق خلفه الباب كرر رودى سؤاله فأجابته:

- ان العمة تتنازعها بعض الشواغل الخاصة فطمأنتها الى أننى سوف استدعى مستر سيدون ليكون هنا فى صبيحة الغد.

- أتريد أن تجدد وصيتها؟

- لم تقل ذلك.

- اذا ماذا قالت..؟

وتوقف فى منتصف السؤال لأنه رأى مارى جيرارد تجرى هابطة درج السلم وتعبر الردهة ثم تختفى خلف الباب ناحية المطبخ، وسألته

اليانور فى صوت أجش: ماذا كنت تريد أن تسأل؟

فغمغم فى كلمات مبهمة وهو بادى الاضطراب.

- أنا.. ماذا؟ لقد نسيت ما كنت أريد أن أقوله..

وكان لا يزال يحملق فى الباب الذى دخلت منه مارى جيرارد فقبضت اليانور على راحتيها فى انفعال جعل أظافرها تنفذ فى لحم كفيها، وقالت لنفسها:

(هذا لا يحتمل!! أن هذا ليس وهما أو خيالا ولكنه الحقيقة المرة رودى! رودى! لا يمكن أن أفقدك، أو اسمح لمخلوقة أن تنتزعك منى!.)

ثم قالت بصوت هادئ مسموع:

- وماذا عن تناول الطعام يا رودى! أنا لست جائعة وسأجلس مع العمة حتى تتناول المرضتان طعامهما.

- هل سأتناول معهما العشاء!

- أتخشى أن تعضاك!

- ولماذا لا نتعشى معا ثم تدعيهما يهبطان بعد ذلك!

- كلا.. دعنى أعرف الأمور وفق ما أرى.



أين المورفين؟

وفى الصباح تولت مسز بيشوب بنفسها إيقاظ اليانور من نومها وهى تبكى وتنتحب وتقول: لقد مضت يا آنسة

– ماذا!

ووثبت الفتاة مرتاعة فى فراشها فعادت مسز بيشوب تقول:

– لقد توفيت عمتك العزيزة فى أثناء نومها.. لقد عاشرتها عشرين عاما ولم أكن أتوقع مثل هذا اليوم.

– نعمة من الله أن تموت العمة فى أثناء نومها ميتة هادئة.

– ولكنها ماتت فجأة.

فانتهرتها اليانور فجأة بحدة:

– لم تمت فجأة لأنها كانت شديدة المرض ومن رحمة الله. أن وضع حدا لآلامها وعذابها.

– ومن سيتولى إنهاء الخبر الى مستر رودريك.

– سأقوم بهذه المهمة بنفسى.

ثم قامت الى بابه فطرقته ودخلت وهى تقول:

– لقد ماتت العمة بارودى. ماتت فى نومها.

جلس فى فراشه وتنهد تنهيده عميقة وقال:

– مسكينه العمة العزيزة! ولكنى أحمد الله لأننى لم أحتمل رؤيتها بالأمس وهى تعانى سكرات الموت.

– لم أعرف أنك رأيتها بالأمس.

فتولاه الخجل وقال:

– الحق يا اليانور أننى دخلت فى المساء أغالب جُبنى وكانت الممرضة البدينة قد غادرت الغرفة لأمر ما. ومعها زجاجة الماء الساخن على ما أذكر. فتسللت وتطلعت اليها ولما أحسست بالممرضة ترتقى الدرج مرة أخرى تسللت عائدا. لقد كان منظرها مؤلما يمزق القلب!

* * *

قالت الممرضة أوبريان لزميلتها:

– ماذا؟ أتبحثين عن شئ فقدته؟ فأجابتها الممرضة هوبكنز وقد أريد وجهها وهى تبحث فى حقيبتها التى كانت قد وضعتها فى المساء السابق بالردهة:

– لا أتصور حدوث هذا؟! لقد كنت أضع أنبوبتين مورفين فى الحقيبة أعطيت مسز (اليزاريكن) واحدة قبل مجيئ فى الليلة الماضية

وبقيت الأخرى فى الحقيبة ولكننى لا أجدها.

- ابحثى عنها فهى صغيرة الحجم.

فعادت الممرضة هوبكنز تقلب محتويات حقيبتها ثم قالت:

- كلا. ليست هنا، لابد أننى تركتها فى دولابى وأن كنت أجزم كذلك بأننى أخذتها معى.

- ألم تتركى الحقيبة فى مكان ما فى طريقك الى هنا؟

- كلا، أنا واثقة أننى لم أضعها الا فى هذه الردهة والذى يضايقنى أننى سأضطر الى الذهاب أولا الى منزلى فى نهاية القرية من أمر الأنبوبة ثم أعود الى هنا.

- فى وقت أنت أحوج ما تكونين فيه الى الراحة من التعب الذى عانيته فى الليلة الماضية.

* * *

قال رودريك ويلمان:

- أتعنى أن العمة ماتت دون أن تترك وصية ما؟

فصقل مستر سيدون نظارته وقال:

- هذا هو الأرجح.

- هكذا يحسب الإنسان أن لديه فسحة من الوقت الى ان يدهمه الموت. ألم تتحدث اليك من قبل فى هذا الشأن؟

- كثيرا.

- وماذا قالت؟

فتنهد مستر سيدون وقال:

- الأشياء العادية، قالت ان هناك كثيرا من الوقت وكانت تكره أن أذكرها بالموت.

فقالت اليانور فى حيرة:

- ولكنها كانت ترغب فى أن تموت.

- أن العقل البشرى يا آنسة اليانور آلة عجيبة، فقد تكون مسز ويلمان فكرت أو رغبت فى الموت ولكن الأمل فى أن تشفى وأن تستعيد صحتها كان يتمشى جنبا الى جنب مع تلك الرغبة. وأغلب الظن أنها كانت تتشاءم من وصية، ولذلك كانت ترجئ ذلك يوما بعد يوم.

- أذن فهذا سر انزعاجها الشديد بالأمس وتلهفها على مقابلتك عندما شعرت بدنو الأجل؟

- ولكنها لم تتمكن من ترك وصية خاصة وبذلك سوف تؤول كل ثروتها اليك يا مستر اليانور كارليسل.

- كلها لى.. أنا؟

- نعم عدا نسبة مئوية للدولة.

ثم مضى يشرح لهما التفاصيل وانتهى قائلا:

- أظن مستر رودريك ابن أخ زوج الراحلة؟

فأجابت الفتاة فى بطء دون أن تنظر الى خطيبها:

- نعم، ولكن لا يهم أن أكون الوارثة الوحيدة لأننا سوف نتزوج.

- كذا!

وبعد أن استأذن المحامى فى الانصراف قال رودريك:

- يجب أن تعـرفى جـيـدا أننى لا أنفس عليك أن تكونى الوارثة الوحيدة واننى أمقت هذا المال.

- أذكـر أنك قلت فى لندن أنه لا يهم من منا يكون الوارث أليس كذلك؟

- أجل. أجل

وتطلع الى قدميه وهو ممتقع الأسارير وتمتم:

- لا يهم. لا يهم!

- ألسنا سنصبح زوجين؟

فقال فى غير اكتراث:

- هو ذلك يا اليـانور ولكننى أرانى تبـدلت فـجـأة ولا أدرى مـاذا حدث لى!

- أنا أعرف السبب.

- يبـدو أننى لا أرتاح الى أن أعـيش على نقـود زوجـتى ولكنهـا صاحت فى حدة وقد غاض الدم من وجهها.

- ليس هذا هو السبب! انه شئ آخر. مارى جيرارد أليس كذلك؟

- أظن ذلك.. كيف عرفت؟

- لم يكن الأمر صعبا لأن وجهك كان ينطق بهذا كلما وقعت عليها عيناك.

- الواقع اننى لا أدرى؟ يخيل لى الآن اننى جننت عندما رأيتها أول يوم فى الغابة وان رأسى دار واننى...

- استمر.. استمر

- لم أشأ ان أقع فى حبها لأننى كنت سعيدا معك.. اغفرى لى يا اليانور ان أحدثك عنها هكذا.

- هراء! استمر. اخبرنى بكل شئ

- انت رائعة ويريحنى ان افضى اليك بما يصطخب فى جوانحى.

انا مغرم بك يا اليانور.. صدقينى ولكن الاخرى اشبه بسحر طغى على.. قلب كيانى. ونظرتى الى الحياة وتذوقى للأشياء. وكل ما هو رتيب معقول.

- ولكن أليس الحب معقولا؟

- كلا. كلا

- أقلت لها شيئا؟

- الواقع أنى فقدت عقلى هذا الصباح ولكنها..

- ماذا؟

- اسكتتنى على الفور. فقد فوجئت.. لأنها تعلم أننى وأنت..

فسحبت اليانور خاتما من الماس من أصبعها وقالت:

- يحسن ان تسترد هذا يا رودى.

فأخذه وهو يغمغم كالمحموم

- ليست لديك فكرة يا اليانور عن الخزى الذى اشعر به، ان وحشا مفترسا ينهش فى مشاعرى.

- هل تظنها ستتزوجك؟

فهز رأسه وقال:

- لا أظنها تحفل بى الآن، ولكنها قد تفعل ذلك يوما.

- اظنك على حق، يجب أن تمنحها الوقت الكافى، ابتعد عنها قليلا ثم ابدأ من جديد.

- أنت خير من صادقت يا اليانور!

- ثم أمسك فجأة بيدها وراح يقبلها ويقول:

- انك تعرفين تماما أننى أحبك وأن مارى أشبه بحلم قد استيقظ منه ولا أجدها.

- واذا لم تجدها؟

- بودى لو يحدث هذا؟ اننى انتمى اليك وأنت تنتمين الى، ونحن الاثنين خلقنا لنكون معا.

فقالت تحدث نفسها:

- نعم، نعم لولا وجود مارى.!

لحم ودم

قالت الممرضة هوبكنز فى حماسة:
كانت جنازة رائعة!

فأجابتها الممرضة أوبريان:

– حقيقة، والزهور، أرأيت أجمل منها؟

وكانتا تحتسيان الشاى فى مقهى (بلوتيت) فاستطردت هوبكنز قائلة:

– ان مس اليانور فتاة كريمة فقد اعطتنى هدية جميلة.

– لا شك فى كرمها. ترى لو حررت الراحلة وصيتها هل كانت تترك كل ثروتها لأبنة أخيها.؟

– الذى اعرفه انها كانت تريد ان تترك مبلغا من المال لمارى جيرارد.

– هذا صحيح. ولعلنا كنا فوجئنا بأنها تركت كل شئ تملكه لمارى وحدها!.

– لا أظنها كانت تحرم من هى من لحمها ودمها.

- هناك لحم ودم، ولحم ودم.

- ماذا تعنين يا أوبريان.؟

- أنا لست ثرثارة ولا أريد أن ألطخ اسم الميتة.

- أنا معك فى هذا.

- على فكرة. هل وجدت أنبوبة المورفين عندما عدت الى منزلك؟

فعبست هوبكنز وقالت:

- كلا. ويغيظنى ألا أعرف أين ذهبت! وكل ما أعلل به ضياعها هو أننى تركتها على حافة المدفأة كما أفعل أحيانا عندما أغلق الدولاب بالمفتاح وربما تدحرجت وسقطت الى سلة المهملات التى كانت مليئة ثم أفرغت فى السلة العامة فى الطريق بمجرد مغادرتى المنزل، هذا هو التعليل الذى يتقبله عقلى.

- هذا محتمل جدا ولو كنت فى مكانك لما اهتممت بالأمر.

- لست مهتمة فى الواقع.

* * *

وجلست اليانور فى ثوبها الأسود الرشيق أمام منضدة فى المكتبة وقد انتشرت أمامها أوراق مختلفة. وكانت قد فرغت من مقابلة الخدم ومسز بيشوب. وجاء دور مارى جيرارد، فدخلت الفتاة مترددة قالت:

- اطلبت رؤيتى يا مس اليانور.؟

فتطلعت اليها لحظة ثم قالت:

- أوه، نعم مارى، تعالى اجلسى هنا.

فجلست الفتاة فى المقعد الذى أشارت اليه اليانور وكان يواجه النافذة بحيث يسقط الضوء على وجهها ويكشف عن نقاء بشرتها وصفرة شعرها الجميل.

وقالت اليانور تحدث نفسها:

(أيمكن ان اكره هذه الانسانة كل هذه الكراهية ولا تظهر على اساريرى؟!)

ثم قالت بصوت مرتفع رقيق:

- اظنك تعرفين يا مارى أن عمتى كانت مغرمة بك مهتمة بمستقبلك.

فغمغمت مارى بصوت خافت:

- كانت مسز ويلمان شديدة العطف على دائما.

- ولو أتيح لها أن تترك وصية - كما رغبت- لتركت لك ما يكفل مستقبلك، ولولا اننى أرجأت دعوة المحامى الى صبيحة اليوم التالى لنفذت عمتى رغبتها ولذلك أحس اننى مسئولة عن حرمانك من جزء من ثروتها ولو يسير، مما جعلنى استشير مستر سيدون ونتفق على عمل ما يريح الراحلة فى قبرها، وقد بدأت بالخدم حسب طول خدمتهم فى هذا المنزل أما أنت فلست بطبيعة الحال من هذه الطبقة.

وتوقفت وهى تأمل أن تشعر الفتاة بوخز هذه الكلمات فلما لم يبد أى تبدل على قسمات وجهها بل راحت تصغى لما ستفضى به الوارثة

بعد ذلك، استطردت اليانور قائلة:

- وبمجرد أن تثبت الوراثه قانونا سأقوم بتوزيع جزء منها على المستحقين بحكم الواجب والاعتراف بالجميل، وسيكون نصيبك ألفى جنيه تتصرفين فيهما كيف تشائين.

فتضرجت وجنتا مارى فرحا وهتفت:

- ألفا جنيه! هذا كرم منك يا مس اليانور!

- يسرنى أن تطمئنى على مستقبلك، واننى لا تساءل هل فى رأسك مشروعات خاصة؟

- نعم.. نعم.. سوف أتدرب على التدليك... هذا ما تنصحنى به الممرضة هوبكنز.

- فكرة طيبة وسأتفق مع مستر سيدون على أن تتناولى حصتك فى أقرب فرصة ممكنة، بل فى الحال لو أمكن.

- أنت طيبة جدا، جدا، يا مس اليانور.

- هذه رغبة العمة لورا، هذا كل شئ على ما أظن.

وأحست مارى بأن الكلمات الأخيرة تعنى طردها.

فنهضت على الفور فى هدوء وقالت:

- أشكرك كثيرا جدا يا مس اليانور!

ثم غادرت الغرفة بينما جلست اليانور ذاهلة غائصة فى لجة من الأفكار دون أن تتحرك أو تطرف لها عين.

وأخيرا بعد دقائق طويلة، خرجت تبحث عن رودى، ووجدته فى غرفة الجلوس يطل من النافذة، واستدار عندما شعر بوقع أقدام خلفه فبادرته اليانور قائلة:

– لقد انتهيت من كل شئ: خمسمائة جنيه لمسز بيشوب ومائة للطاهية وخمسون لكل من الخادمتين ميلى واوليف وخمسة لكل من الآخرين. أما رئيس الخدم ستيفنس سيأخذ خمسة وعشرون جنيها وبقى الكهل جيرارد ساكن الكوخ لا أدرى كم أعد له معاشا طوال حياته الباقية؟

وصمتت لحظة راحت تتفرس فيها وجه الشاب ثم استرسلت تقول:

– وسيكون نصيب مارى جيرارد ألفى جنيه، أتظن هذا ما كانت ترغب فيه عمتنا؟

فأجاب دون أن ينظر اليها:

– حسنا جدا، انك شديدة الحكم دائما يا اليانور.

ثم استدار ليطل مرة أخرى من النافذة فأمسكت الفتاة أنفاسها قليلا ثم اندفعت تقول فى سرعة وانفعال:

– هنالك ما أريد أن أحدثك عنه، سيكون لك نصيبك اللائق يا رودى.

ولما التفت اليها ووجهه يعصف بالغضب مضت تقول على الفور:

– كلا أصغ الى يا رودى! ان العدالة تقضى بان يكون لك نصيب فى أموال عمك التى تركها لزوجته، وهذا ما كان فى نية العمة

وحدثتنى به مرارا، أما الآن وقد آلت الى جميع أموالها فلا أطيق الشعور بأنى أسلبك ما هو حق لك لا لسبب سوى ان العمة لورا لم تتمكن من كتابة وصيتها.

امتقع وجهه وقال:

- يا الهى! أتعتقدين أننى أترقب منحتك؟

- قلت لك اننى فقط لا أريد أن أسلبك ما هو من حقك وكانت عمتى تريد أن تتركه لك من الأموال التى ورثتها عن زوجها.. عمك.

- أنا آسف يا عزيزتى. الحق اننى لا أدرى ماذا يجب أن أقول وماذا يجب أن أعمل؟

- يا لك من مسكين يا رودى!

واقتربت منه تخاطبه فى رفق:

- اتعرف ماذا أعدت مارى جيرارد لمستقبلها؟ سوف تتدرب على التدليك.

- حسنا.

- اصغ الى جيدا يا رودى! بودى لو تتبع نصيحتى.

واستدار يسألها:

- أية نصيحة تعنين!

- خذ أجازه وارحل الى الخارج لمدة ثلاثة شهور مثلا. ارحل بمفردك واتخذ أصدقاء جددا وشاهد أماكن جديدة. دعنا نتكلم بصراحة أكثر: انك تعتقد فى هذه اللحظة انك تحب مارى جيرارد.

وربما كنت كذلك، ولكن هذه اللحظة غير مناسبة للاقتراب منها وان كانت خطبتها قد فصمت تماما.

- ولهذا يحسن أن ترحل الى الخارج حرا طليقا. لتعود بعد ثلاثة شهور حرا فى ان تتخذ القرار الذى يروق لك، وسوف تعرف اذ ذاك اذا كنت حقيقة قد أحببت مارى جيرارد ام كانت عاطفتك نحوها مجرد إعجاب وقتى ولهفة عابرة. حتى اذا تأكدت أنك تحبها أمكنك ان تذهب اليها وأن تفضى اليها برغبتك وربما أمكنها فى ذلك الوقت أن تصغى اليك والى لهفتك عليها.

فتقدم منها رودى وأمسك بيدها فى راحته وقال:

- أنت رائعة يا اليانور.. ذكية.. مدهشة!. اننى لأزداد اعجابا بمواهبك، وسأعمل ما تشيرين به على، سأرحل متحررا من كل قيد، وسوف أدرك هل ما بى حمى وافدة وحماقة طارئة! كم أنا مغرم بك يا اليانور. شاكر للكرم الذى تغمرينني به.

ثم قبلها دون ان يعى ووثب الى الخارج.

* * *

وبعد يومين افضت مارى جيرارد للممرضة هوبكنز بما وعدتها به اليانور فهنأتها فى حرارة وقالت:

- كثيرات غيرها يتناسين رغبات الموتى ولكنك لحسن الحظ وجدت فى استقامة خلق اليانور ما يكفل مستقبلك.

- ومع ذلك اشعر انها لا تحبنى.

– لا تتظاهرى بالبراءة ان مستر رودريك مفتون بك ومن حق خطيبته أن تحقد عليك. أتحبينه يا فتاة؟

– لا أدرى! لا أظن ذلك. ولكنه لطيف

* * *

– لا تتعجلى يا فتاة من كانت فى جمالك تستطيع – كما ألمحت لى مرة الممرضة أوبريان– ان تعمل فى السينما..

– وابى؟ كيف يجب ان أتصرف معه؟ انه يرى ضرورة إعطائه بعض المال الذى سأناله من اليانور!

– لا تعملى شيئا من هذا القبيل. ان مستر ويلمان لم ترد ان تعينه بالذات.. انه اكسل رجل رأيته ولولاك لفقد عمله منذ سنوات.

– من عجب ألا تترك وصية من كانت تملك كل هذه الثروة.

– هكذا الناس يا ابنتى.. يرجئون كل شئ فلا تفعلى مثلهم.

– أليس مضحكا أن تفكر مثلى فى كتابة وصيتها وهى لا تملك شيئا!

– بل ستكون لك ثروة صغيرة ولكن لها قيمتها فلم لا وقد تعديت الحادية والعشرين من عمرك؟

– لا داعى للعجلة على كل حال.

– هكذا أنت كالآخرين الذين نعيب عليهم أرجاء كل شئ.

ان تمتعك بالصحة لا يحول دون أن تهشمك سيارة أو عربة فى أية

لحظة.

فضحكت ماري وقالت:

- أنا لا أعرف حتى كيف تكتب الوصية.

- من السهل ان تحصلى على استمارة من مكتب البريد

وفى كوخ الممرضة هوبكنز نشرت الاستمارة ونوقشت محتويات الوصية وسألتها ماري باسمة:

- من الذى يرثنى اذا لم اترك الوصية؟

- والدك. الا اذا...

- ... لن ادعه يرثنى، أفضل ان اترك ما املك لخالتى فى نيوزيلندا.

- هذا أفضل لأن والدك لن يعيش طويلا.

- ولكنى لا أذكر عنوان خالتى ولم نسمع أخبارها منذ سنوات.

- لا يهم أتعرفين اسمها؟

- مارى رالى.

- حسنا جدا.. اكتبى انك تتركين كل شئ لمارى رالى أخت المرحومة اليزا رالى من أهالى هنتربرى.

فانحنت مارى على الاستمارة تكتب ولما انتهت ارتعدت فجأة لأن ظلا وقف بينها وبين الشمس. ولما رفعت رأسها رأت اليانور واقفة خارج النافذة تتطلع الى الداخل.. وسرعان ما سألتها هذه:

- ماذا تفعلين باهتمام يا مارى؟

فقالت هوبكنز باسمة:

- انها تكتب وصيتها؟

- تكتب وصيتها؟

ثم ضحكت ضحكة هستيرية وقالت:

هذا شئ مضحك للغاية!

ثم استدارت وهى لا تزال تضحك ومضت بسرعة فى طريقها بينما تمتمت هوبكنز قائلة:

- ماذا أصابها؟

* * *

وفجأة شعرت اليانور بيد تسقط على ذراعها من الخلف فالتفتت على الفور لترى الدكتور لورد عابس الوجه يسألها:

- علام تضحكين هكذا؟

فأجابت:

- الواقع. لا أدرى.

- هذا رد أبله!!

فتضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت:

- لابد اننى عصبية أو شئ من هذا القبيل لاننى عندما شاهدت مارى جيرارد فى كوخ الممرضة هوبكنز تكتب وصيتها انفجرت فى

الضحك لسبب لا أعرفه.

– سأصف لك مقويا لأعصابك. هذا هو العلاج الناجع لمن يكتمون عن الغير حقيقة حالهم.

– لا شئ هناك على الاطلاق.

– بل هناك أشياء كثيرة تكتمينها ولا تريدين أن تبوحى بها لأحد هل ستبقين هنا طويلا؟

– سأرحل غدا.

– ولماذا لا تقيمين هنا؟

ـ لن أفعل هذا. بل سأبيع الضيعة والقصر اذا حصلت على ثمن طيب.. يجب ان أعود الى القصر الآن.

ومدت يدها قائلة: ماذا تظن فى رأسى من الأفكار؟

– هذا ما أود أن اعرفه.

– كل ما هنالك اننى وجدت من المضحك ان تفكر مارى فى كتابة وصيتها.

– ليس فى الأمر موضع للغرابة. بل كان واجبها ان تفطن مسز ويلمان الى أهمية ذلك فتكتب هى الأخرى وصيتها.

– نعم هذا صحيح.

– وأنت؟ هل فكرت فى كتابة وصيتك؟

– أنا؟ كلا لم أفكر فى هذا قط ولكننى عندما أعود الى المنزل

سأكتب الى مستر سيدون فى هذا الشأن.

- هذا عين الصواب.

* * *

ولما جلست الى المنضدة فى المكتبة مضت تكتب الى المحامى:

(عزيزى مستر سيدون

أرجو أن تكتب لى وصية لأوقعها.. وصية غاية فى البساطة لأننى أريد أن أترك كل شئ امتلكه لرودريك ويلمان.

وفتحت الدرج ثم تذكرت انها استعملت فى هذا الصباح آخر طابع بريد لديها وأن هناك بعض الطوابع فى مخدع النوم، فمضت ترتقى الدرج ولما عادت الى المكتبة والطابع فى يدها، كان رودى واقفا بجوار النافذة فقال يخاطبها:

- اذن سنغادر هنتربرى فى الغد؟ ان لهذا المكان العزيز ذكريات لن تمحى من مخيلتها!

- ما رأيك فى أننى سأعمل على بيع هذا القصر.

- هذا خير ما تفعلين.

ثم ران عليهما صمت راحت اليانور فى أثنائه تلصق الطابع على خطابها الى المحامى.



المخلصة

تلقت المرضة هوبكنز فى ١٤ يولية الخطاب التالى من زميلتها المرضة أوبريان:

كنت أود منذ بضعة أيام ان اكتب لك عن منزلى الجميل فى (البورو) وأن كانت أسباب الراحة فيه لا تعدل ما نعمت به فى هنتربرى، ولعل اكثر ما يضايقنى ندرة الخادمات وقله مهارتهن. أما مريضى فشاب هادئ رقيق الحاشية كان يعانى التهابا رئويا ولكن الأزمة قد انقضت لحسن الحظ، والذى أود أن أخبرك به ويدل على غرائب المصادفات أننى وجدت فى غرفة الاستقبال اطارا كبيرا من الفضة على البيانو ولعلك لا تصديقننى اذا قلت لك ان الصورة التى فى هذا الاطار هى نفس الصورة التى كانت ممضاة بتوقيع لويس فى قصر ويلمان أى لنفس هذا الرجل! ولما سألت الساقى عن صاحب الصورة قال انها للسير لويس رايكر وفت شقيق الليدى راترى وأنه كان يعيش غير بعيد عن هنا، ثم قتل فى الحرب، وعلمت أنه كان متزوجا

وأن الليدى رايكروفت أدخلت مستشفى المجاذيب بعد زواجها مباشرة وأنها ما زالت بالمستشفى الى اليوم.. ومعنى هذا أن السير لويس ومسز ويلمان كانا عاشقين وأن الرجل لم يستطع الزواج منها لأن امرأته كانت على قيد الحياة فى المستشفى.. فيالها من مأساة غرامية عجيبة.

أرجو ان تكتبى لى بكل أنبائك.

وفى اليوم نفسه -١٤ يوليه - تلقت الممرضة أوبريان الخطاب التالى من زميلتها هوبكنز.

(عزيزتى أوبريان

كل شئ هنا يسير عاديا لولا أن هنتريرى أصبحت مهجورة وقد غادرها جميع الخدم وكتب عليها الآن إعلان (للبيع) وقد شاهدت مستر بيشوب منذ يومين وهى تقيم مع أختها على مسيرة ميل وتتميز حنقا لعرض هنتريرى للبيع بعد أن كانت تؤكد أن اليانور سوف تتزوج رودى ويقيمان هنا أما الآن فهى تؤكد أن هذا دليل على أن هذا الزواج لن يتم، وكذلك رحلت مس اليانور الى لندن كما رحلت اليها مارى جيرارد لتتدرب فيها على التدليك، ومن حسن حظها أن اقتنعت مس اليانور بمنحها ألفى جنيه تشق بهما طريقها فى مستقبل أيامها.

أتذكرين الصورة المضاة باسم (لويس) التى كانت مسز ويلمان قد طلبتها فى لهفة لتراها قبل موتها؟ لقد صادف أن كنت أتحدث منذ يومين مع مسز سلاترى حارسة الدكتور رانسام سابقا. ذلك الطبيب الكهل الذى خلفه الدكتور لورد.. فلما سألتها فى معرض الحديث..

ماذا تعرف عمن يحملون اسم (لويس) ذكرت السير لويس رايكروفت الذى قتل فى نهاية الحرب وكان يقيم فى (فوريس بارك) ولما ذكرت لها أنه كان صديقا لمسز ويلمان أكدت أنهما كانا أكثر من صديقين ولم تزد على ذلك ولكننى فسرت هذا بأن مسز ويلمان كانت أرملة وربما كانت تمنى نفسها بالزواج منه. غير أن مسز سلاترى قالت: ما كان فى وسعها أن تتزوجه لأن له زوجة فى مستشفى المجاذيب.

وهل تذكرين الشاب الصبيح الوجه المدعو تيد بيجلاند الذى كان يحوم كان حول مارى جيرارد؟

- لقد طلب الى أن أعطيه عنوانها فى لندن ولكنى لم أعطه شيئا لأننى واثقة أن الفتاة لا تراه الآن من طبقتها. ولانى أعتقد أن رودى يهيم بها شغفا منذ وقعت عيناه عليها أخيرا، ولعل هذا هو سبب انفصام الخطبة بينه وبين اليانور. ذلك الانفصام الذى يكاد يذهب بعقل - اليانور، والواقع اننى أعجب لتعلقها العجيب بمستر رودريك ولا أجد فيه ما يبعث على هذا التعلق الشديد!

ويؤسفنى أن أخبرك أن الكهل جيرارد تسوء صحته ويزداد توتر أعصابه حتى لقد صاح منذ أيام أن مارى ليست ابنته ولما عاتبته وطلبت اليه ان يخجل من كلامه تطلع الى ثم قال: (أنت لست سوى حمقاء لا تعلمين شيئا) ولكنى سلقته بلسانى لأن زوجته كانت وصيفة مسز ويلمان قبل زواجهما وكانت فتاة شريفة طيبة.

المخلصة جيسى هوبكنز)

وتلقت اليانور من رودريك فى اليوم التالى (١٥ يولية) الخطاب

التالى:

(عزيزتى اليانور

لقد تسلمت خطابك على التو وأظنك قد أحسنت كثيرا بالتفكير فى بيع هنتريرى وأن كنت ستلاقين بلا شك بعض الصعوبات فى التخلص من هذا البيت العتيق الذى لا تتوافر فيه أسباب الراحة الحديثة رغم تجديده عدة مرات.

(الطقس هنا جميل، وأقضى ساعات فى البحر عازفا: عن الاختلاط بالناس ما استطعت الى ذلك سبيلا، كما أفكر فى أن أقضى على ساحل دالماسيا أسبوعا أو أثنين وسيكون عنوانى من ٢٢ الجارى شركة توماس كوك بدافروبنيك حتى اذا استجد ما اعمله أمكن أن تتصلى بى على الفور.

المخلص المعجب الشاكر - رودى).

وتلقت فى ٢٠ يوليه الخطاب التالى من مستر سيدون:

(عزيزتى مس اليانور كارليسل

أرجو أن توافقى على ما يعرضه الميجر سمرفيل من شراء هنتريرى بمبلغ ١٢٥٠٠ جنيه لأنه عرض سخى فى الواقع.

وأرجو أن توافينى بموافقتك بصفة عاجلة لأن الميجر عرضت عليه منازل أخرى فى المقاطعة وليس لديه مانع من استئجار المنزل بأثاثه لمدة ثلاثة شهور نكون أثناءها قد أنهينا الإجراءات الرسمية الخاصة بالبيع.

(أما عن الحارس جيراد فلا داعى الآن للتفكير فى اعداد معاش له لأن الرجل كما سمعت قد اشتد به المرض ويحتمل أن يموت بين يوم وآخر.

(ولما كانت إجراءات الوراثة لم تتم بعد فقد صرفت لمس مارى جيرارد مائة جنية من حسابها.

(المخلص - ايدموند سيدون)

وفى يوم ٢٤ يوليه تلقت اليانور من الدكتور لورد الخطاب التالى:

(عزيزتى مس اليانور كارليسل

لقد توفى الكهل جيرارد اليوم فهل من خدمة أؤديها سمعت أنك بعت المنزل للميجر سمر فيل وأرجو أن تكون صفقة طيبة.

وفى ٢٠ يولية كتبت اليانور الى مارى جيرارد تقول:

(عزيزتى مارى

يؤسفنى أن اسمع بوفاة والدك. لقد عرض على الميجر سمر فيل شراء هنتربرى ويتعجل تسلمه ولذلك سأذهب الى هناك لأفحص أوراق عمتى وأخلى المنزل مما يحسن التخلص منه فهل لك أن تعملى من جانبك على إخلاء الكوخ من متاع والدك؟

أرجو لك الصحة والتوفيق فى التدريب على التدليك...

(المخلصة - اليانور كارليسل)

وفى نفس اليوم كتبت مارى الى الممرضة هوبكنز تقول:

(عزيزتى مس هوبكنز

أشكر لك خطابك عن والدى ويسرنى انه لم يعان كثيرا

وقد تلقيت اليوم من مس اليانور أنها باعت هنتر برى وقد طلبت الى أن اخلى الكوخ فى أقرب وقت فهل أطمع فى أن تستضيفنى غدا اذا حضرت تشييع الجنازة؟ لا تهتمى بالرد فى حالة الموافقة.

(المخلصة المحبة - مارى جيرارد)

عندما بلغت اليانور الطريق الرئيسى فى يوم الخميس ٢٧ يولية، صاحت فجأة صيحة سرور وعبرت الشارع هاتفة:

- مسز بيشوب!

- مس اليـــانور؟ لو كنت أعلم انك فى هنتـــريرى لبـــادرت الى مقابلتك بنفسى. هل جئت معك بأحد من لندن لخدمتك؟

فهزت اليانور رأسها وقالت:

- أنا لست مقيمة فى المنزل، بل فى فندق كنجز آرمز.

- هل بعته حقيقة.

- نعم. الى الميجر سمر فيل.. النائب الجديد الذى انتخب فى مكان نائبنا الراحل، ويسرنى أن يشترى المنزل رجل يرغب فى أن يشغله بنفسه وكان يؤلمنى أن ينقلب الى فندق أو يهدم ليشيد فى مكانه منزل على الطراز العصرى.. ولولا أنه أكبر من حاجتى لفكرت فى أن أقيم به.

ثم نظرت الى المرأة فى عطف وقالت:

- اذن اعطنى علبة من السمك المحفوظ.

- أيروقك شئ من أثاث المنزل يا مسز بيشوب؟

- الحق اننى معجبة بالمكتب الصغير الذى بغرفة الاستقبال

- خذيه مع المقاعد التى من طرازه.

- شكرا على كرمك يا مس اليانور. وبهذه المناسبة اخبرك أننى أقيم الآن مع أختى فهل أذهب لاقوم بما تحتاجين اليه من مساعدة.

- كلا. شكرا.

- أظنك تعلمين أن مارى جيرارد هنا وأن جنازة والدها كانت بالامس وهى تقيم مع الممرضة هوبكنز وسمعت أنهما ذهبتا فى الصباح الى الكوخ.

- أنا التى طلبت اليها اخلاء الكوخ. سأمضى الآن وسأذكر رغبتك فى المكتب والكراسى.

ومضت الفتاة الى الخباز فاشترت رغيفا ثم الى بائع اللبن فابتاعت نصف رطل من الزبد وبعض اللبن. وأخيرا ذهبت الى البدال وطلبت بعض علب سمك السلمون وهى تقول:

- أرجو أن يكون السمك طازجا لأن كثيرا من الوفيات تحدث بسبب التسمم بالسمك. أليس كذلك.

فأجابها الرجل ويدعى (أبوت):

- أؤكد لك أن هذا السمك الطازج ومن أحسن الأصناف ولم يشك منه أحد من قبل.

ومضت من فورها فدخلت هنتربرى من البوابة الخلفية وكان الجو صحوا حارا، ومساعد البستانى يشذب الزهور - وكان هو الخادم

الوحيد الذى أبقيت عليه -فلما شاهدها حياها فى احترام وقال:

- لقد تلقيت خطابك يا سيدتى وفتحت النوافذ والباب الجانبى. بلغنى انك بعت المنزل فهل أطمع فى توصية منك الى الميجر سمر فيل.

فأجابته باسمة:

- بالطبع يا هر ليك.

- شكرا يا سيدتى.. كنا نتمنى أن يظل المنزل للعائلة.

ومضت الفتاة وقد شعرت بأنها أشبه بالسد المحطم تجرفه المياه والأمواج وراحت تحدث نفسها قائلة:

(لولا مارى جيرارد لبقيت ورودى فى هذا المنزل الذى يذكرنى كل ما فيه بطفولتنا الهانئة؟ ترى أى سحر فى الفتاة سلبه لبه بهذه السرعة العجيبة؟ أن بالفتاة مزايا ومواهب تستحق الاعجاب ولكنه لا يعرف عنها شيئا. اذن فهو الحب الذى يقول عنه الشعراء أنه وليد النظرة الأولى! ولو أن مارى ماتت - مثلا - لأفاق رودى من نشوته ولنجت روحه من تأثير هذا السحر الطاغى الذى يتملكه! آه لو يحدث شئ لهذه الفتاة!

وأدارت مقبض الباب الخارجى فتملكتها رعدة كانما يقبع شر فى ذلك المنزل! ومضت عبر الردهة الى الغرفة التى كان يحفظ فيها خزين المنزل فوضعت حملها من الزبد والخبز وزجاجة اللبن، ثم فتحت علبة السمك المحفوظ وراحت تحملق فيها لحظة طويلة. وأخيرا غادرت القبو وارتقت الدرج الى غرفة مسز ويلمان حيث راحت تخرج الملابس من الدولاب وتفتح الأدراج وتفرز ما بها.

وفى تلك الأثناء كانت مارى جيرارد فى الكوخ تحدث الممرضة هوبكنز، قالت:

- أصحيح ما قاله أبى فى ثورته من أنه ليس والدى؟

فبدأ الارتباك على الممرضة وقالت:

- اصغى الى يا مارى. ان المرضى وكبار السن كثيرا ما يهرفون فى غضبهم فما بالك بمستر جيرارد الذى كان مهدم الأعصاب، وبهذه المناسبة ماذا قررت أن تعملى بأثاث الكوخ؟

- لا أدرى فى الواقع ماذا يجب أن أعمله. ماذا ترين؟

- أرى أن تحتفظى بالمتين منه فتهيئى به شقة صغيرة فى لندن.

- لقد كان المحامى مستر سيدون طيبا معى فارسل لى مائة جنيه (على الحساب لأبدأ بها تدريبى على التدليك لأن بقية النقود لن اتسلمها قبل شهر على الأقل.

ومضت تبحث فى أوراق ابيها القديمة ثم هتفت:

- هذه وثيقة زواج أبى وامى فى سانت البان سنة ١٩١٩ ولكن يا لله!

- ماذا يا مارى؟

- نحن الآن فى سنة ١٩٣٩ وسنى ٢١ سنة فكيف ولدت اذن بعد سنة ١٩١٩؟ هذا معناه ان زواجهما كان بعد ولادتى!

فتجهمت أسارير الممرضة وقالت:

- كثيرا ما يحدث أن يتزوج العاشقان بعد أن يولد لهما طفل درءا

للفضيحة أو تكفيرا عن علاقتهما السابقة.. لا تهتمى كثيرا بذلك.

- كلا. كلا لقد كان ابى على حق عندما قال اننى لست ابنته بل ان هذا يفسر كراهيته لى.

- الواقع انك لست ابنته يا مارى.

- لقد تحدث أبوك عن هذا كثيرا قبل موته رغم محاولتى اسكاته وحمله على الصمت والشعور بالخجل. ولولا، ولولا انك ستعرفين الحقيقة عاجلا أو آجلا ما اضطررت الى الافضاء اليك بهذا الواقع المر.

- ومن هو والدى الحقيقى؟

فترددت الممرضة قليلا ولكنها ما أن فتحت فمها حتى اقفلته فى الحال اشفاقا على الفتاة أو لأنها شاهدت ظلا يسقط عبر الحجرة ثم شاهدت اليانور واقفة فى النافذة. وحدثتها هذه قائلة:

- طاب صباحك. لقد كنت أعد بعض الشطائر (السندوتش) فهل لكما فى مشاركتى اياها وقد بلغت الساعة الواحدة وآن وقت تناول الغداء. ان لدى ما يكفى ثلاثتنا.

ومضين ثلاثتهن الى الردهة الباردة، وشعرت مارى باوصالها ترتجف فسألتها اليانور؟

فأجابتها: لا شئ. مجرد رجفة. لعل سببها، اننى آتية من.. مكان الشمس

- هذا عجيب! لقد شعرت بمثل ذلك هذا الصباح!

فضحكت هوبكنز وقالت:

- بقى أن تجزما بوجود أشباح وأرواح.

وتقدمتها الى غرفة الجلوس الى يمين الباب الخارجى حيث كانت الستائر مرفوعة فزايلت الفتاتين كآبتهما وعاودهما المرح، ومضت اليانور عبر الردهة ثم عادت تحمل صفحة كبيرة عليها الشطائر وقدمتها أولا الى مارى التى تناولت احداها، ووقفت اليانور ترمقها لحظة وهى تلتهم (السندوتش) فى فمها الصغير باسنانها الناصعة. ثم سرح خاطرها وأخيرا انتبهت الى شفتى هوبكنز تتفرجان عن جوع، فأسرعت تقدم اليها الطعام ثم تناولت بدورها احدى الشطائر، وقالت معتذرة:

- نسيت أن أحضر بعض اللبن لعمل القهوة، ولكن توجد بعض زجاجات من الجعة لمن تريد منكما.

فقالت هوبكنز:

- لو أننى تذكرت لجئت ببعض الشاى.

- يوجد شاى فى غرفة كبير الخدم

فأسرعت هوبكنز تحضر بعضه وقد أشرقت أساريرها وبقيت اليانور ومارى وحدهما معا، فسرى فى الجو شعور عجيب من التوتر حاولت اليانور أن تخفيه وقالت:

- هل أحببت عملك فى لندن؟

- نعم. أشكرك ولن أنسى لك هذا الفضل. ولكن ماذا حدث؟

- ماذا؟

- انك تحملقين فى وجهى بشدة

فضحكت اليانور وقالت:

- أحقا؟.. هذه عادتى عندما اكون غائصة فى التفكير. أنا آسفة.

وأطلت هوبكنز قائلة:

- سأضع آنية الشاى على النار

وانفجرت اليانور مرة أخرى فى نوبة فجائية من الضحك وقالت تحدث مارى:

- أتذكرين أيام كنا طفلتين... أتحبين العودة الى هذا العهد؟.

- نعم. نعم. ولكن يجب ألا تعتقدين يا مس اليانور....

ولكنها توقفت عن الكلام عندما شاهدت جسم اليانور يتصلب فجأة ثم سمعتها تقول فى صوت ثاقب:

- ماذا يجب الا أعتقده..؟

- نسيت ما كنت.. أريد أن أقوله..

وقدمت هوبكنز تحمل صحفة عليها ثلاثة أقداح من الشاى واللبن فزال توتر اليانور وقالت:

- شكرا.. تناولا انتما الشاى فليست بى رغبة فى شرب شئ.. ثم دفعت الصحفة أمام مارى.. وبعد أن فرغت هوبكنز من احتساء قدحها قالت:

سأذهب الآن لأطفئ الموقد فقد تركته موقدا تحسبا لطلب المزيد من الشاي.

وتقدمت اليانور من النافذة فالتقطت صحفة الشاي ووضعت عليها طبق (السندوتش) الفارغ، وحينئذ وثبت ماري قائلة:

- أوه يا مس اليانور.. هاتي عنك!

فقالت لها اليانور في حدة:

- كلا.. أبقى أنت في مكانك وأتركي لي هذا.

ثم حملت الصفحة الى خارج الردهة وتطلعت الى الخلف من فوق كتفها الى ماري التي وقفت بجانب النافذة وقد اكتمل جمالها وشبابها... وكانت هوبكنز في القبو تمسح وجهها بمنديلها فلما شاهدت اليانور مقبلة عليها قالت:

- ما أشد الحر هنا..!

ثم تقدمت تأخذ الصحفة منها قائلة:

- دعيني أغسلها يا مس كارليسل..

وراحت ترفع كميها ونظرت اليانور الى رسغها وقالت:

- هل جرحت نفسك..؟

فأجابت ضاحكة:

- دخلت شوكة من شجر الورد في رسغي وسوف انتزعها

- أين..؟

- عند سور الورود حول الكوخ..

ورفعت اليانور علبة السمك المحفوظ الفارغة عن المنضدة ثم وضعتها فى الحوض بين الأقداح والصحاف. ولما انتهت هوبكنز من مهمتها عادت كلتاهما ترتقيان الدرج الى غرفة مسز ويلمان، وهناك ساعدت (الممرضة) اليانور فى فرز الملابس التى يحسن منحها لبعض الفقيرات من الجارات..

وفجأة.. تساءلت الممرضة:

- هل ذهبت مارى الى الكوخ؟

- فأجابتها اليانور:

- لقد تركتها فى غرفة الاستقبال.

- لا يمكن أن تبقى هناك طوال هذا الوقت.

ثم تطلعت الى ساعتها وقالت:

- لا يمكن لأننا مكثنا هنا حوالى ساعة كاملة.

وأسرعت تهبط الدرج فتبعتها اليانور وما لبثت هوبكنز أن صاحت:

- ما كنت اتصور هذا.. لقد غلب عليها النوم.

وكانت مارى جالسة فى مقعد كبير بجوار النافذة وقد سقط رأسها على صدرها فهزتها الممرضة لتوقظها قائلة:

- استيقظى يا عزيزتى..

ثم سكتت فجأة وانحنت على الفتاة وراحت تهزها من جديد..

واخيرا التفتت الى اليانور وقالت وفى صوتها نبرة تهديد

- ما معنى هذا؟!

- لا أعلم ماذا تعنين؟ أهى مريضة؟

- أين التليفون؟ اتصلى بالدكتور لورد بأسرع ما تستطيعين

- ماذا جرى!

- الفتاة تموت.

- تموت؟

- لقد سممت..

وحدجت اليانور بنظرة ثاقبة.. مليئة بالشك والوعيد.



التحرى

راح هركيول بوارو يرقب الشاب الذى مضى يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى عصبية ثم قال:

- حسنا يا صديقى.. ما الخطب؟

ووقف بيتر لورد فى مكانه وكأنه قد شل ثم قال؟

- مسيو بوارو.. أنت الشخص الوحيد فى العالم الذى يمكنه مساعدتى.. لقد سمعت ستيلنج فليت يتحدث عنك وقد ذكر لى ما صنعته فى قضية بندكت فارلى وكيف أن كل امرئ ظن أن الأمر انتحار حتى جئت أنت فاثبت انها جريمة قتل.

فقال بوارو:

- هل عندك قضية انتحار بين مرضاك لا تشعر بارتياح اليها؟.

فهز بيتر لورد رأسه ثم جلس مواجها بوارو وقال:

- هناك سيدة صغيرة.. قبض عليها وستحاكم بجريمة قتل وأنا أريد منك أنه تجد ما يثبت انها لم ترتكب تلك الجريمة. وارتفع حاجبا

بوارو قليلا ثم قال فى صوت خافت:

- هل أنت وتلك السيدة الصغيرة خطيبان؟.

- نعم.

- هل يحب كل منكما الآخر؟.

وضحك بيتر لورد وقال:

- لا ليس الأمر كذلك.. أن ذوقها سيئ لأنها تفضل حمارا ذا أنف كبير ووجه كوجه حصان مجنون.. غباء منها.. ولكن هكذا الحال.

فقال بوارو:

- حسنا..

وقال لورد بمرارة:

- أنت تقـول حـسنا... لا داعى لأن تكون دبلومـاسـيـا فى هذا الموضوع... لقد وقعت فى حبها منذ اللحظة الأولى.. ولذلك لا أريد أن تشنق.

فسأله بوارو:

- ما هى التهمة الموجهة اليها!.

- انها متهمة بأنها قتلت فتاة تدعى مارى جيرارد بتسميمها بهيدرو كلوريد المورفين.. ومن المحتمل انك قرأت نتيجة التحقيق فى الصحف.

فسأل بوارو:

- وما الدافع الى الجريمة؟

- الغيرة..

- وفى رأيك أنها لم ترتكب تلك الجريمة؟.

- بالطبع لا..

ونظر اليه بوارو مفكرا برهة ثم قال:

- ما ذا بالضبط الذى تريد منى عمله؟.. اتحرى الموضوع؟.

- أريد منك أن تنقذها.

- لست محامى دفاع يا عزيزى.

- سأجعل الموضوع أكثر وضوحا لك.. أريد منك أن تجد دليلا يساعد محاميها على إنقاذها.

فقال بوارو:

- أنت تقول ذلك بطريقة غريبة بعض الشئ.

فقال بيتر لورد:

- ما أريده ببساطة هو الإفراج عن تلك الفتاة وأظن انك الرجل الوحيد الذى يمكنه ذلك.

- تريد منى أن أتحرى الحقائق؟ أى أن أجد الحقيقة؟. وأكتشف ما حدث فعلا؟.

- أريد أن تجد أى نوع من الحقائق يمكن أن يكون فى مصلحتها.

وأشعل بوارو سيجارة رفيعة فى عناية ودقة ثم قال:

- ولكن الحقيقة سلاح ذو حدين.. لنفرض اننى وجدت حقائق ضد السيدة؟ أتطلب منى الا أعلنها؟.

ووقف بيتر لورد وهو شاحب الوجه وقال:

- هذا مستحيل.. أنك لن تجد ضدها أكثر من الحقائق الموجودة الآن.. ان الأدلة التى ضدها مدمرة تماما.. ولن تستطيع العثور على شئ يدينها اكثر مما هى عليه الآن. اننى أسألك أن تستخدم كل عبقريتك حتى تجد ثغرة.. أية ثغرة.

- من المؤكد أن المحامين عنها سيفعلون ذلك؟.

وضحك الشاب ضحكة استهزاء وقال:

- اتراهم سيفعلون ذلك؟.. لقد يئسوا قبل أن يبدأوا فهم يظنون أن القضية لا أمل فيها.. وقد استشاروا بولر.. وذلك اعتراف ضمنى منهم بفشلهم.. فليس بولر الا خطيبا فذا بارعا فى التوسل والتباكى.. وسيعتمد على صغر سن المتهمة لإثارة شفقة المحلفين.. ولكن القاضى لن يدعه يستغل ذلك..

فقال بوارو:

- ولنفرض انها مذنبة.. هل تريد رغم ذلك أن يفرج عنها؟.

فقال بيتر لورد فى هدوء:

- نعم..

وتحرك بوارو فى مقعده وقال:

- انك تثير اهتمامى.

وبعد دقيقة أو دقيقتين قال:

- أظن أنه من الأفضل أن تذكر لى الوقائع بدقة.

- ألم تقرأ عنها شيئا فى الصحف؟.

فلوح بوارو بيديه وقال:

- قرأت شيئا عنها.. ولكن الصحف لا تتحرى الدقة وأنا لا آخذ أبدا بما تقول.

فقال بيتر لورد:

- ان الأمر بسيط جدا.. هذه الفتاة.. اليانور كارليسل.. كانت قد ورثت منزلا قريبا من هنا يدعى هنتربرى هول.. ومعه ثروة لا بأس بها ورثتها عن عمتها التى ماتت دون أن تترك وصية.. وكان للعمة قريب من ناحية زوجها أسمه رودريك ويلمان.. وكان خاطبا لليانور كارليسل منذ زمن طويل اذ كان كل منهما يعرف الآخر منذ الطفولة.. وكانت هناك فتاة أخرى فى هنتربرى.. اسمها مارى جيرارد.. أبنة حارس المنزل. وكانت العجوز مسز ويلمان تهتم بها اهتماما كبيرا.. فدفعت نقودا لتعليمها الخ.. ونشأت الفتاة سيدة محترمة.. ويبدو أن رودريك ويلمان أحبها ولذلك فسخت خطبته.

والآن ننتقل الى ما حدث.. عرضت اليانور كارليسل المنزل للبيع واشتراه رجل يدعى سمرفيل وحضرت اليانور لتأخذ أمتعة عمتها الخاصة.. وكانت مارى جيرارد التى توفى والدها حديثا قد حضرت لإخلاء الكوخ الملحق الذى كان يقطن به أبوها هذا يصل بنا الى يوم ٢٧ من يوليو فى الصباح.

كانت اليانور كارليسل تقيم فى الفندق وفى الطريق قابلت مدبرة المنزل السابقة مسز بيشوب واقترحت مسز بيشوب أن تذهب معها الى المنزل لمساعدتها ورفضت اليانور بإصرار.. ثم ذهبت الى (البقال) واشترت علبة سمك وهناك أبدت ملاحظة عن التسمم من المأكولات.. شئ فى منتهى البراءة.. ولكنهم بالطبع اتخذوه دليلا ضدها.. ثم ذهبت الى المنزل.. وحوالى الساعة الواحدة ذهبت الى الكوخ حيث كانت مارى مشغولة مع ممرضة الحى وهى امرأة فضولية تدعى هوبكنز كانت تساعدها وذكرت لهما أن عندها شطائر فى المنزل فذهبتا معها الى هناك وأكلتا الشطائر وبعد حوالى ساعة استدعيت فوجدت مارى جيرارد غائبة عن وعيها.. وبذلت قصارى جهدى ولكن بلا فائدة.. وأوضح التشريح أن هناك كمية من المورفين تناولتها مارى قبل ذلك بفترة قصيرة.. ثم وجد (البوليس) بطاقة من التى تلصق على زجاجات الأدوية فى المكان الذى كانت اليانور كارليسل تعد فيه الشطائر وقد كتب عليها (هيدرو كلور المورفين).

- وهل أكلت مارى جيرارد أو شربت شيئا آخر؟

- لقد صنعت الممرضة الشاى وكانت مارى هى التى صبته فى

الأقداح ولا يمكن أن يكون فيه شئ.. بطبيعة الحال أنا أتوقع أن الدفاع سيستغل موضوع الشطائر ويقول أن الثلاثة قد أكلن منها وعلى ذلك فمن المستحيل أن نضمن أن شخصا واحدا معينا يمكن تسميمه عن طريقها وقد قيل ذلك كما تذكر فى قضية مشابهة هى قضية هيرن.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

– ولكن الواقع أن الموضوع بسيط جدا.. اذ يمكنك عمل مجموعة من الشطائر وفى واحدة منها تضع السم ثم تقدم الطبق.. وفى عالمنا المتمدين نعرف أن الشخص الذى تقدم اليه الشطائر سيأخذ أقرب شطيرة اليه.. وأظن أن اليانور كارليسل قدمت طبق الشطائر أولا الى مارى جيرارد؟.

– تماما..

– رغم أن الممرضة الأكبر سنا كانت فى الغرفة؟

– نعم.

– هذا شئ لا يبدو حسنا.

– أن هذا لا يعنى شيئا حقا.. فأنت لا تراعى الواجبات فى نزهة مثلا.

– من الذى أعد الشطائر؟

– اليانور كارليسل.

– هل كان هناك فرد آخر فى المنزل؟.

- لا أحد.

فهز بوارو رأسه وقال:

- هذا سيئ.. وتقول ان الفتاة لم تتناول شيئا سوى الشاى والشطائر.

- لا شئ.. ومحتويات المعدة تؤكد ذلك

فقال بوارو:

هناك نقطة أخرى فاذا كان تسميم الغذاء هو المقصود.. فلماذا لم يتم اختيار سم آخر.. فعوارض التسميم بالمورفين لا تشبه حتى فى القليل أعراض التسمم الغذائى.. وكان الأتروبين يعد اختيارا أفضل.

فقال بيتر لورد ببطء:

- نعم.. هذا صحيح.. ولكن هناك شئ آخر فهذه الممرضة اللعينة تقسم انها فقدت أنبوبة من المورفين فى الليلة التى ماتت فيها مسز ويلمان.. وتقول الممرضة انها تركت حقيبتها فى (الصالة) وفى الصباح اكتشفت عدم وجود أنبوبة من المورفين كانت فيها.. كل هذا كلام (فارغ) أنا متيقن من ذلك.. ربما تكون قد كسرتها فى المنزل قبل ذلك ونسيت.

- تقول انها تذكرت تلك الأنبوبة فقط عند موت مارى جيرارد فقال بيتر لورد:

- الحقيقة.. انها ذكرت ذلك فى وقته.. للممرضة التى كانت عليها

الخدمة وقتئذ.

وراح بوارو ينظر الى بيتر لورد ببعض اهتمام.

ثم قال فى رقة:

– أظن يا عزيزى ان هناك شيئا آخر.. لم تذكره لى بعد..

– أوه.. حسنا.. أظن أنه من الأفضل ان اذكر لك كل شئ لقد تقدموا بطلب لتشريح جثة مسز ويلمان.

– حسنا..

– فاذا فعلوا ذلك.. فمن المحتمل انهم سيجدون ما يبحثون عنه.

– المورفين؟... وهل كنت تعرف ذلك؟

فقال بيتر لورد وقد أبيض وجهه

– لقد شككت فى الأمر.

ومضى بوارو يدق بقبضته على ذراع المقعد ثم هتف

– يا الهى.. أنا لا أفهم هذا.. هل كنت تعلم عندما ماتت.. انها ماتت مقتولة؟.

فصاح بيتر لورد:

– يا الله.. كلا، لم أتصور شيئا كهذا قط.. لقد ظننت أنها تناولته بنفسها.

واستدار بوارو على مقعده وقال:

- آه.. هل خطر لك ذلك؟

- طبعا انها تحدثت معى فى هذا الشأن.. وقد سألتنى أكثر من مرة اذا كنت لا أنهى كل شئ بالنسبة لها فقد كانت تكره المرضى.. وعدم إمكانها القيام بعمل شئ.. كانت ترى ذلك مهينا للكرامة.. ان ترقد ويعنى بها كطفلة.. وكانت سيدة قوية العزيمة..

وسكت برهة ثم قال:

- لقد دهشت لموتها فلم أكن أتوقعه ولذا أخرجت الممرضة من الغرفة وبدأت اكشف عليها بدقة على قدر امكانياتى وبالطبع كان من المستحيل التيقن بدون اجراء تشريح.. ولكن أيه فائدة كانت ترجى من ذلك؟ فاذا كانت قد اختارت أن تنهى حياتها فلماذا نعلن ذلك على الملأ ونسبب فضيحة.. من الأفضل التوقيع على شهادة الوفاة لتدفن فى هدوء.. ومع كل.. فأنا لم أكن متيقنا ربما أكون قد قررت الشئ الخطأ.. ولكننى لم أتصور لحظة واحدة ان فى الأمر جريمة.. كنت متيقنا انها فعلت ذلك هى نفسها.

فسأله بوارو:

- كيف تظن انها حصلت على المورفين؟.

- ليس عندى أدنى فكرة ولكنى أقول لك.. انها كانت امرأة ذكية لا تعدم الحيلة وقوة العزيمة.

- أتظن أنها أخذته من الممرضات؟.

فهز بيتر لورد رأسه:

- لا يمكن.. أنت لا تعرف الممرضات.

- من أحد أفراد أسرتها إذن؟

- ممكن.. ربما تكون قد أثرت على مشاعرهم..

فقال بوارو:

- ذكرت لى أن مسز ويلمان ماتت دون أن تترك وصية.. فلو انها عاشت هل كانت ستكتب وصية؟

فابتسم بيتر لورد وأجاب:

- أنت تضع إصبعك فى مهارة شيطانية على جميع النقاط الهامة.. نعم.. كانت ستكتب وصية.. وكانت مضطربة جدا لهذا السبب.. كانت لا تستطيع التكلم بصوت مفهوم ولكنها جعلت رغبتها مفهومة لنا وكان على اليانور كارليسل أن تتحدث الى المحامى بالتليفون فى صباح اليوم التالى.

- اذن كانت اليانور كارليسل تعرف ان عمتها تريد كتابة وصية؟.. وأنه اذ ماتت عمتها بدون كتابة وصية.. فانها ترث كل شئ؟.

فقال بيتر لورد بسرعة:

- لم تكن تعرف ذلك.. لم تكن لديها أية فكرة فى أن عمتها لم تكتب وصية قط.

- هذا يا صديقى ما تقوله هى.. ربما كانت تعرف ذلك.

- اسمع يا مسيو بوارو.. هل أنت محامى الادعاء؟.

– فى هذه اللحظة.. نعم.. لابد أن أعرف مقدار قوة الاتهام ضدها.. هل كانت اليانور كارليسل تستطيع أن تأخذ أنبوبة المورفين من الحقيبة؟.

– نعم.. وكان يستطيع ذلك أى شخص آخر.. رودريك ويلمان.. الممرضة أوبريان.. أى فرد من الخدم..

– أو الدكتور لورد؟.

وزاد اتساع عينى الدكتور وقال:

– طبعا.. ولكن ماذا أفيد من ذلك؟.

– بدافع الرحمة.

فهز بيتر لورد رأسه وقال:

– لا.. وعليك أن تصدقنى.

وأسند بوارو ظهره الى المقعد ثم قال:

– دعنا نفرض شيئا.. لنقل ان اليانور كارليسل أخذت فعلا أنبوبة المورفين من الحقيبة وقدمته فعلا لعمتها فهل قيل شئ عن فقد المورفين؟.

– لم يذكر شئ للخدم فقد احتفظت الممرضتان بالسر بينهما..

فقال بوارو:

– ما رأيك فيما سيقوله الادعاء؟.

– أتعنى اذا وجد فى جسد مسز ويلمان مورفين؟.

– نعم.

فقال بيتر لورد:

– من الممكن اذا أفرج عن اليانور فى التهمة الحالية فأنها قد يعاد القبض عليها وتسند اليها تهمة قتل عمتها. فقال بوارو:

– ان الدوافع تختلف.. أعنى انه فى حالة مسز ويلمان نجد أن الدافع قد يكون المغنم على حين نجد فى حالة مارى جيرارد أن الدافع مفروض ان يكون الغيرة.

– هذا حقيقى.

فقال بوارو:

– ما هو الأساس الذى سيتبناه الدفاع؟.

فقال بيتر لورد:

– يقترح بولمر أن يبنى دفاعه على أساس عدم وجود أى دافع وسيقدم نظرية تقول أن الخطوبة بين اليانور و رودريك كانت إجراء عائليا أملته أسباب عائلية لارضاء مسز ويلمان وانه فى اللحظة التى توفيت فيها السيدة العجوز قامت اليانور نفسها بفسخها وسيقدم رودريك ما يثبت ذلك وأظن انه يكاد يؤمن بهذه الحقيقة.

– يؤمن بأن اليانور لم تكن تعنى به الى حد كبير؟.

– نعم.

- فى هذه الحالة لن يكون لديها سبب يدعوها لقتل مارى جيرارد.

- تماما..

- واذا صح ذلك فمن الذى قتل مارى جيرارد؟.

فقال بيتر لورد فى حنق:

- هذا هو الموضوع.. اذا لم تكن قد قتلتها فمن الذى فعل ذلك؟.. عندنا الشاى.. ولكن كل من الممرضة هوبكنز ومارى شربتا منه.. سيحاول الدفاع أن يوحى بأن مارى جيرارد تناولت هى نفسها بعد أن خرجت الاثنتان الأخريان من الغرفة.. وانها فى الواقع قد انتحرت..

- هل هناك أى سبب يدعوها للانتحار؟.

- لا شئ على الاطلاق.

- هل هى من النوع الذى يقدم على الانتحار؟.

- لا..

فقال بوارو:

- صف لى مارى جيرارد..

ففكر بيتر لورد ثم قال:

- حسنا.. كانت فتاة ظريفة.. نعم.. بالتأكيد.. كانت فتاة ظريفة.

وتنهد بوارو ثم تمتم:

- وهذا الشخص رودريك ويلمان.. هل وقع فى غرام مارى جيرارد

لأنها فتاة ظريفة؟.

وابتسم بيتر لورد وقال:

- أوه.. لقد عرفت ما ترمى اليه.. لقد كانت جميلة.

- وأنت نفسك.. ألا تشعر نحوها بشئ؟.

- يا الله.. نعم.

وتمعن بوارو فى ذلك الرد فترة ثم قال:

يقـول رودريك ويلمـان أن صلة عـاطفـيـة كـانت بينـه وبين اليـانور كارليسل.. ولكن لا شئ اكثر من ذلك.. فهل توافق على هذا الزعم؟

- كيف لى ان اعلم؟.

فهز بوارو رأسه وقال:

- لقد ذكرت لى عندما دخلت هذه الغرفة ان اليانور كارليسل ذات ذوق سيئ حتى انها أحبت حمارا ذا أنف كبير.. هذا على ما أظن كان وصفك لرودريك ويلمان.. ومعنى هذا

- أنها تهتم به جدا..

فقال بيتر لورد:

- انها تهتم به جدا..

فقال بوارو:

- اذن كان هناك دافع.

فاستدار بيتر لورد وقد ملأ الغضب وجهه وقال:

- ومـاذا فى ذلك؟ ربما تكون قـد ارتكبت الجـريمة.. نعم.. أنا لا أبالى اذا كانت قد فعلت ذلك.

فقال بوارو:

- آه..

- ولكننى لا أود أن أراها تشنق.. دعنى اقل لك هـذا.. هب انهـا فعلت ذلك فى حالة يأس؟ فالحب يولد اليأس أحيانا.. لنفرض أنها فعلت ذلك أليست لديك أية رحمة؟.

فقال بوارو:

- أنا لا أوافق على القتل.

فـقـد سـمـمت مـارى جـيـرارد بالمورفين ولابد انهـا تناولتـه فى (السندوتش) ولم يلمس أحد تلك الشطائر غير اليانور كارليسل وكان لدى الأخيرة الدافع لقتل مارى جيرارد وهى فى رأيك قادرة على قتل مارى جيرارد ومن المحتمل أن تكون قد قتلت مارى جيرارد ولا أرى أى سبب يدفعنى الى أن أصدق غير ذلك.

هذا وجـه واحـد من وجـوه المسـألة والآن ننتقل الى الوجـه الآخـر ونبحث الموضوع من الزاوية المضادة.. اذا لم تكن اليانور كارليسل قد قتلت مارى جيرارد. فمن الذى فعل ذلك؟ هل مارى جيرارد انتحرت؟.

واستقام بيتر لورد فى جلسته وبان التقطيب فى جبهته وقال:

- لم تكن دقيقا جدا الآن.

- أنا.. غير دقيق؟.

- قلت أنه ليس هناك شخص آخر لمس تلك الشطائر غير اليانور كارليسل.. انت لا تعرف ذلك..

- لم يكن هناك أحد فى المنزل غيرها.

- هذا على حسب ما نعلم ولكنك تستبعد فترة قصيرة من الزمن.. هى الفترة التى غادرت فيها اليانور كارليسل المنزل وذهبت الى الكوخ. وفى خلال تلك الفترة من الزمن كانت الشطائر على طبق فى المطبخ وكان فى إمكان شخص ما يفعل بها ما يشاء.

وجذب بوارو نفسا عميقا وقال:

- أنت مصيب يا صديقى.. وأنا أعترف بذلك.. كانت هناك فترة من الزمن يستطيع خلالها أى فرد أن يجد سبيله الى طبق (السندوتشات) وعلينا أن نكون فكرة عمن قد يكون هذا الشخص..

وصمت.. ثم قال:

- دعنا نفحص مارى جيرارد هذه.. شخص ما، غير اليانور كارليسل.. يرغب فى موتها.. لماذا؟ هل يفيد شخص ما من موتها؟.. هل لديها مال تتركه بعدها؟

فهز بيتر رأسه وقال:

- ليس الآن.. بعد شهر آخر كانت ستتسلم ألفين من الجنيهات

وكانت اليانور كارليسل قد قررت لها هذا المبلغ لأنها اعتقدت أن عمتها كانت ترغب فى ذلك.. ولكن لم يتم تصفية تركة السيدة العجوز بعد.

فقال بوارو:

- اذن يمكننا استبعاد المادة.. انت تقول ان مارى جيرارد كانت جميلة.. والجمال دائما له مضاعفات.. هل كان لها معجبون؟

- من المحتمل.. ولكننى لا أعرف الشئ الكثير عن ذلك.

- من اذن يعرف؟.

فابتسم بيتر لورد وقال كل شئ يحدث فى ميدنز فورد.

- كنت سأسألك عن انطباعاتك بالنسبة للممرضتين.

- حسنا.. الممرضة أوبريان ايرلندية.. ممرضة جيدة.. ساذجة قليلا.. يمكن أن تكون ذات لسان مقذع.. كاذبة قليلا من النوع الذى يهيم فى دنيا الخيال.

فأومأ بوارو برأسه..

- أما الممرضة هوبكنز فهى عاقلة.. ذكية.. متوسطة العمر طيبة جدا.. ولكنها تهتم اكثر من اللازم بشئون غيرها.

- اذا كان هناك بعض المشاكل بسبب شاب فى القرية هل كانت الممرضة هوبكنز تعرف ذلك؟

- لك أن تراهن على ذلك..

ثم أضاف فى بطء:

- وعلى كل حال فأنا لا أرى شيئا واضحا فى هذا النوع من التفكير.. فمارى لم تمكث فى القرية طويلا اذ كانت فى ألمانيا طوال العامين الماضيين.

- كان عمرها واحدا وعشرين عاما؟.

- نعم.

- ربما تكون هناك بعض التعقيدات الألمانية.

فانبسط وجه بيتر لورد وقال فى لهفة:

- أتعنى أنه ربما يكون هناك شخص ألمانى كان ناقما عليها؟.. ربما يكون قد تبعها الى هنا وانتظر حتى جاء الوقت المناسب.. وأخيرا حقق هدفه؟.

فقال بوارو فى شك:

- هذا مبالغ فيه قليلا.

- ولكنه ممكن؟.

- انه ليس محتملا.

فقال بيتر لورد:

- أنا لا أوافقك.. ربما يكون هناك شخص قد أحب الفتاة وغضب بشدة عندما أعرضت عنه وربما يكون قد تصور انها قد عاملته معاملة سيئة.. انها مجرد فكرة..

- انها فكرة.. نعم..

قالها بصوت لا يشجع..

فقال بيتر لورد بصوت فيه نبرة توسل:

- استمر يا مسيو بوارو

فقال بوارو:

- ارى انك تريد منى ان أكون مثل الحاوى أخرج لك من القبعة الخاوية أرنبا بعد أرنب.

- يمكنك أن تقول ذلك اذا أحببت..

فقال بوارو:

- هناك احتمال آخر.

- استمر..

- لقد أخذ شخص ما أنبوبة مورفين من حقيبة الممرضة هوبكنز فى تلك الليلة من شهر يونيو.. فلنفرض أن مارى جيرارد رأت الشخص الذى فعل ذلك؟.

- كانت تعلن ذلك.

- كلا.. كلا.. يا عزيزى، كن معقولا، اذا كانت اليانور كارليسل أو رودريك ويلمان أو الممرضة أوبريان أو أى واحد من الخدم قد فتح الحقيبة وأخذ منها أنبوبة صغيرة فما الذى يدور بخلد مارى جيرارد التى رأت ذلك؟

ببساطة سيدور بخلدها أن الشخص المذكور قد أرسلته الممرضة

ليحضر شيئا من الحقيبة.. وسيزول الموضوع من ذهن مارى جيرارد.. ولكن من المحتمل.. انه بعد ذلك.. ربما تتذكر تلك الواقعة وربما تذكرها بطريقة عرضية الى الشخص موضوع حديثنا.. بدون أن يكون لديها أى شك فيه.. فاذا كان هذا الشخص هو المذنب فى جريمة قتل مسز ويلمان فلك أن تتخيل نتيجة ذلك التصريح.. لقد رأته مارى.. وعلى ذلك يا صديقى أن أى شخص يرتكب جريمة قتل مرة يكون السهل ارتكاب جريمة أخرى.

فقال بيتر وهو مقطب الجبين:

- لقد كنت على يقين طوال الوقت أن مسز ويلمان نفسها أخذت المورفين وانتحرت به.

- ولكنها كانت مشلولة.. عاجزة.. وكانت قد أصيبت توا بنوبة ثانية.

- أنا أعرف.. وكانت فكرتى انها حصلت على المورفين بأية طريقة.. وانها حفظته فى مكان أمين بجوارها.

- ولكنها فى هذه الحالة تكون قد حصلت على المورفين قبل أصابتها بالنوبة الثانية ولكن الممرضة افتقدته بعد ذلك.

- ربما تكون الممرضة هوبكنز قد اكتشفت فقد المورفين فى ذلك الصباح فقط فى حين يكون قد أخذ قبل ذلك بيومين.. قبل أن تلاحظ ذلك.

- ولكن كيف يمكن أن تأخذه العجوز؟

- أنا لا أعرف.. ربما تكون قد رشت خادمة.. فاذا كان الأمر كذلك فان تلك الخادمة لن تتكلم اطلاقا.

- هل تظن ان احدى الممرضتين يمكن رشوتها؟.

فهز رأسه نافيا وقال:

- كلا.. مطلقا.. فهما شديدتان جدا ومتمسكتان بتقاليد المهنة.. اضف الى ذلك انهما تخشيان الأقدام على عمل كهذا وتعرفان الخطر الذى يترتب عليه.

فقال بوارو:

- هذا صحيح..

ثم أضاف فى تفكير:

- يبدو اننا ندور فى حلقة مفرغة.. من الذى يحتمل أن يكون قد أخذ تلك الأنبوبة من المورفين؟ هل هى اليانور كارليسل؟.. قد نقول انها رغبت فى ان تتعجل وراثتها لثروة كبيرة.. وقد نقول ونحن اكثر كرما انها أخذت المورفين وقدمته لعمتها بدافع الرحمة تلبية لرجاء عمتها المتكرر.. ولكنها تكون عندئذ هى التى أخذته.. وأن مارى جيرارد شهدتها وهى تفعل ذلك..

وهكذا ترى اننا نعود مرة أخرى الى (السندوتشات) والى المنزل الخالى ونجد مرة أخرى اليانور كارليسل.. ولكننا فى هذه المرة نجد أن لها دفعا آخر مختلفا.. وهو انقاذ رقبتها.

فصاح بيتر لورد:

- هذا محض خيال.. انها ليست هذا النوع من الناس.. انها لا تعنى بالمال. وأيضا رودريك ويلمان.. وهذا ما أعترف به فلقد سمعتهما يقولان هذا.

- هل لها أقارب.. أعنى اليانور كارليسل؟.. اخوات.. أبناء عم.. أب أو أم؟

- لا، انها يتيمة.. وحيدة فى هذا العالم.

- ان هذا يبدو مؤلما وأنا واثق أن بولمر سيستغل ذلك الى أبعد مدى..

ومن اذن يرث أموالها اذا ماتت؟.

- لا أعرف.. اننى لم أفكر فى ذلك.

فقال بوارو مؤنبا:

- يجب على المرء أن يفكر دائما فى هذه الأشياء.. فمثلا.. هل كتبت وصيتها؟.

واحمر وجه بيتر لورد وقال:

- أنا.. أنا لا أعرف.

فنظر بوارو الى سقف الغرفة ووضع أصابع يديه بعضها على بعض ثم قال:

- أنت تعرف أنه من الأفضل أن تقول لى..

- أقول لك ماذا؟.

- مـاذا يدور فى ذهنك بالضـبط.. بصـرف النظر عن وفى بطء سمح بيتر لورد لنفسه بأن يذكر القصة،

- كيف عرفت؟.

- نعم.. نعم.. أنا أعرف.. ان هناك شيئا.. حادثة ما فى ذهنك.

- انها حادثة تافهة.

- لعلها كذلك.. ولكن دعنى أسمع ما هى.

قـصة ذلك المنظر عندمـا شـاهد اليـانور فى نافـذة كوخ الممرضـة هوبكنز وهى تضحك ملء شدقيها.

فقال بوارو:

- قالت هذا (اذن أنت تكتبين وصيتك يا مارى.. هذا أمـر غريب.. أمر غريب.. أمـر غريب جدا).. وكان واضحا جدا فى ذهنك ماذا يدور فى خلدهـا.. تصورت انهـا كانت تفكر فى أن مـارى جيـرارد لن تعـيش طويلا.

فقال بيتر لورد:

- اننى فقط تصورت هذا.. انا لا اعرف.

الغضب والألم

رافق الدكتور لورد مسيو بوارو الى كوخ الممرضة هوبكنز حيث قدمه لها ثم بنظرة من بوارو - استأذن فى الانصراف وتركهما منفردين وجها لوجه. وتطلعت الممرضة شرزا الى ذلك الغريب، ثم قالت:

- لقد كانت مارى من أجمل الفتيات اللائى رأيتهن فى حياتى وجديرة باعجاب مسز ويلمان بها. ذلك الاعجاب الذى فاق كل وصف.

- هل اعتادت مس اليانور أن تزور عمتها من وقت لآخر؟

- عندما كان يروق لها.

- يخيل الى انك لا تحبينها؟

- أحبها؟ هل أحب مجنونة. قاتلة؟

- اذن فقد جزمت بانها القاتلة؟

- من سواها؟ هل أنا الذى قتلت مارى المسكينة بالسم؟

- لا داعى للهياج والانفعال، فقد أردت أن أقول ان الإدانة لم تثبت وانها لم تحاكم بعد.

- جريمتها لا تحتاج الى دليل ولن انسى كيف صعدت بى واحتجزتنى ما استطاعت فلما هبطت الدرج وجدت مارى مسمومة، وشاهدت علامات الإجرام مرتسمة على وجه القاتلة القاسية.

- ولم لا تكون مارى قد انتحرت؟ ربما دست شيئا فى الشاى.

- هذا هراء. ليس ثمة ما يحمل فتاة ريانة الشباب والأمل على ان تقضى على حياتها بنفسها.

- قد تكون أخفقت فى حبها!

- لم تكن مارى من هذا النوع ولم نسمع بالمحبين ينتحرون الا عندما يعارضهم آباؤهم أو تقف عائلاتهم عقبة كؤود فى سبيل سعادتهم.

- أليس لها معجبون!

- انها فتاة هادئة وليست من هؤلاء اللائى يفضن بالنداء الجنسى. ولم أعرف بها سوى تيد بيجلاند، ولكنها لم تشجعه لأنه كان أدنى منها مرتبة وتعليما.

- ألم يغضبه هذا!

- لقد تألم ولكنه كان ينحى على باللائمة لأنه كان يعرف جيدا اننى نصحتها بالتعالى عن التفكير فى شاب بسيط مثله.

- وماذا حملك على التحمس للفتاة بهذا القدر!

- كل ما فيها كان يبعث على حبها.

- ولكن كيف تتعالى وهى ابنة حارس بيت وتقيم فى كوخ؟

- كلا. كلا. لم تكن ابنته بل ابنة أحد السادة.

- وأمها؟

- فترددت وعضت شفتها ثم قالت:

- كانت أمها وصيفة لمسز ويلمان وقد تزوجت جيرارد بعد ان ولدت مارى، كم فى الدنيا من المآسى.

فتنهد بوارو كأنما يشاطرها أساها بينما استطردت قائلة كأنما روعت فجأة

- ولكن ما كان يجدر أن أتحدث هكذا عن الموتى!

- أظنك تعرفين والدها كذلك؟

- فى وسعى أن اطمئن لأن للخطايا القديمة ظلالا طويلة كما يقولون ولكننى أوثر عدم الخوض فى سيرة من انتقلوا الى العالم الآخر.

- هناك مسألة أريد أن اعتمد فيها على نظرتك الصائبة للأمور وحكمتك فى الحكم على الأشياء: هل صحيح أن مستر رودريك كان مفتونا بمارى جيرارد؟

وغر المرأة ذلك المديح فقالت:

- لقد جن بها خاصة وان حبه لخطيبته اليانور كان فى الحقيقة

فاترا، باردا.

- وهل شجعته مارى جيرارد؟

- كلا. كلا. على الاطلاق. لاشك أن مارى تكره العجلة وقد نبهته الى أن له خطيبة.

- وما رأيك الخاص فى مستر رودريك ويلمان؟

- انه ظريف لطيف. سريع الانفعال أحيانا.

- أكان يحب عمته الراحلة؟

- أعتقد ذلك.

- هل جلس معها كثيرا اثناء اشتداد المرض عليها؟

- لا أظنه دخل حجرتها فى المرة الأخيرة. كما انها لم تسأل عنه ولم يكن أحد منا يفكر انها مشرفة على الموت، وهكذا معظم الرجال يجفلون من منظر المرضى وخاصة اذا كانوا يعانون آلاما مبرحة.

- أواثقة أنه لم يدخل الى غرفة عمته قبل أن تموت؟

- لم يحدث ذلك عندما كنت قائمة بعملى الى أن حلت أوبريان محلى فى الساعة الثالثة صباحا وربما تكون العمة قد استدعته عندما أشرفت على النهاية.

- الا يجوز انه دخل الغرفة أثناء غيابك؟

- أنا لا أترك مريضتى قط.

- ألم تخرجى لغلى ماء أو تهبطى لداع هام؟

– الواقع اننى نزلت لأغير الزجاجات وأعيد ملأها بالماء الساخن من المطبخ ولكنى لم أغب أكثر من خمس دقائق ولو ان مستر رودريك زارها فى تلك الأثناء لقام بذلك بسرعة عجيبة.

– الحق ان الممرضات اللائى على شاكلتك أشبه بملائكة الرحمة.

– شكرا لك يا سيدى. الواقع ان مهمتنا شاقة ونبيلة.

– أهناك شئ آخر تستطيعين الإدلاء به عن مارى جيرارد؟

– لا أعرف غير ما قلت.

– أواثقة؟

– لا شئ غير ما سمعته منى.

* * *

وانصرف بوارو الى منزل مسز بيشوب المحافظة التى تكره مقابلة الأجانب ولذلك قابلته مستاءة متقززة وابتدرته قائلة:

– ان البوليس بقبضه على مس اليانور قد اثبت غباءه وتصديقه الشائعات بسهولة.

– وهل فصم رودريك خطبته لها لانه صدق بدوره هذه الإشاعات؟

– كلا: انه يحبها وهى تحبه ولكن الحية سعت بينهما. هذه الحية الناعمة مارى جيرارد.

– كدت أصدق ما يقال من أن مارى فتاة وادعة؟

– أنها ناعمة الملمس فقط، وبهذا اكتسبت حب الكثيرين وفى

مقدمتهم سيدتى المسكينة الراحلة والممرضة هوبكنز. يجب أن يخرس صوت مارى بأى ثمن.. واننى أؤكد لك وبلغ من دهائها أن حملت مسز ويلمان على تعهدها دائما والإنفاق على تعليمها هنا وفى الخارج بأبهظ النفقات.. وجعلت منها (سيدة) فوق مرتبتها ثم ما لبثت أن أوقعت مستر رودريك الساذج القلب فى حبائلها.

- ألم يكن لها معجبون من طبقتها؟

- طبعا.. فقد أغرم بها تيد بيجلاند، ولكنها شمخت عليه بأنفها..

- ألم يثر لهذه المعاملة منها؟

- نعم وأتهمها بأغراء مستر رودى.. أنا لا ألوم الشباب.

- ولا أنا.. وأهنئك يا مسز بيشوب بقدرتك على الإيضاح والإيجاز.. لقد اعطيتنى صورة واضحة لمارى جيرارد..

- أحب ان تعلم اننى لا أقصد الى تجريحها وهى فى قبرها ولكن لا شك فى أنها سببت قدرا كبيرا من العناء والمتاعب ومن رحمة الله أن ماتت مسز ويلمان قبل أن تكتب كل ما تملكه لهذه الفتاة..

- ألا ترين أن وفاة هذه الفتاة كانت فى ظروف غاية فى الغموض.؟

- البوليس هو الذى خلق هذا الغموض وجر مسز اليانور الى هذه التهمة الطائشة بل لقد حاول البوليس اشراكى فى الأمر بدعوى أننى قلت أن سلوك مسز اليانور كان غريبا فى الأيام الأخيرة.

- وهل كان سلوكها غريبا حقا؟

- وكيف لا يكون وقد فقدت عمتها وخطيبها!؟

- ألا تلومين مستر رودريك على أنه لم يزر العمة فى تلك الليلة.؟

- أنت مخطئ يا مسيو بوارو لأنه دخل ورآها! فقد كنت على درج السلم عندما سمعت الممرضة تهبط الدرج ورأيت أن أدخل على المريضة لعلها تحتاج الى شئ فى تلك الأثناء وخشيت أن تدخل الممرضة فى ثرثرة مع الخادمات وتغيب عن المريضة.. واذ ذاك لمحت مستر رودى يتسلل الى غرفة عمته..

- أنك حصيفة ذكية فماذا ترين فى موت مارى جيرارد..؟ وهلا تعتقدين أنها انتحرت..؟

- انتحرت فتاة ورثت وقررت أن تتزوج مستر رودى؟! كلا كلا.. أقص هذا من مخيلتك..



حقائق جديدة

وفى يوم الأحد كان تفيد بيجلاند فى مزرعة والده عندما قدم اليه بوارو نفسه. ولم يجد عناء فى حمل الشاب على الكلام بل بادره هذا متحمسا وقال:

– ثق يا سيدى ان مس اليانور لا تلجأ الى العنف فما بالك الجريمة؟ أن طبيعتها غير ما يظنه رجال البوليس..

– ألا يصح أن تدفعها الغيرة الى ذلك.؟

– الغيرة! ان بعض الجرائم وليدة الغيره كما أعلم، ولكن القاتل لا يقدم على جريمته الا اذا كان قد امتلأ قلبه بالحقد أو أعمته الخمر. أما مس اليانور فسيدة هادئة وادعة..

– ومن قتل مارى جيرارد اذن؟

– لا أعتقد ان انسانا كان يحقد على هذه الزهرة اليانعة ..

– أكنت تريد زواجها؟

– نعم ولكنها.. تغيرت بعد أن تلقت قسطا كبيرا من التعليم

أذهلها.. وليس معنى هذا انها كانت فظة معى بل كانت طيبة واكتفت بأن تجعلنى أفهم أنى لم أعد أهلا لها. وان كنت أظن أنها ليست أهلا كذلك لسيد حقيقى مثل مستر رودريك ويلمان..

– أتكره مستر رودريك.؟

– كلا ولكنى تألمت لحومه حول مارى رغم أنها ليست من طبقته..

– أين كنت وقت أن ماتت الفتاة؟

– فى حظيرة السيارات حيث كنت أفحص سيارة وقد جربتها قليلا فى ذلك الصباح المشرق العليل الهواء.

– أكانت مسز بيشوب مديرة هنتريرى تكره مارى؟

– كانت تحقد عليها لمكانتها عند مسز ويلمان.

– وهل كانت الممرضة هوبكنز تحبها؟

– لا شك فى أن هذه الممرضة الثرثارة كانت تعطف على الفتاة ولكنها كانت تحضها على العمل على كسب معاشها بممارسة التدليك.

– يخيل الى أن هذه الثرثارة لم تفض بكل ما تعلمه عن مارى جيرارد وتلقى ضوءا على مقتلها!

* * *

وتطلع بوارو باهتمام الى وجه رودريك ويلمان وبرثاء الى حالته العصبية ونظراته الحائرة. وتأمل الفتى البطاقة قليلا ثم قال:

– لقد سمعت عنك كثيرا يا مسيو بوارو، ولكننى لا أرى ما يعتقده

الدكتور لورد من أنك تستطيع شيئا فى هذه المأساة، بل ولا أدرى دخله فى هذا الشأن بعد أن انتهت مهمته من عيادة عمتى وأصبح غريبا هنا.

فأجابه بوارو فى هدوء:

– قد لا يسيئك أن تعلم أننى أحاول أن أقدم معونتى الى اليانور فى مصلحتها؟

– كلا.. كلا.. ولكن..

– أتريد ان تقول ولكن ماذا فى وسعى أن أعمله؟

– قد يبدو فى هذا التصرف خشونة منى ولكنه الواقع.

– قد اكتشف حقائق تدرأ عنها الاتهام.

– حبذا لو استطعت! أتوسل اليك ان تفعل.

– عليك فقط أن تساعدنى بأن تخبرنى برأيك فى كل هذه المأساة.

فقام رودى يذرع الغرفة فى قلق واضح ثم قال:

– ماذا أقول وانا لا أستطيع تصور اليانور مجرمة قاتلة؟! انها مخلوقة دمثة هادئة ذكية شديدة الحساسية، مرهفة الحس خلو من الغرائز الحيوانية، ولكننى لا أستطيع كذلك إدانة الممرضة لأنها لم تقترب من السندوتش ولم تكن تستطيع تسميم الفتاة دون أن تتسمم بدورها ولانها ليس لديها ما يدفعها الى قتل الفتاة..

– هذا ينطبق تماما على الحقائق التى جمعتها، ولكن هل صحيح

ما يشاع من انك كنت معجبا بالقتيلة؟

- نعم.. بل لقد أحببتها وقد حطم قلبى موتها.. ولكنى فى الواقع.. لا أدرى بالضبط حقيقة مشاعرى، اذ يخيل الى اننى كنت فى حلم.. صحوت منه.

- ألم تكن فى إنجلترا عندما ماتت؟

- كلا.. رحلت الى الخارج فى ٩ يولية ثم عدت فى أول ؟أغسطس عندما تبعتنى برقية اليانور من مكان الى آخر فأسرعت راجعا بمجرد ان تلقيت الأنباء.. وكانت صدمة شديدة فى الواقع.

- هى الحياة لا تهادن ولا تدع الانسان يهيئ أموره وفق مشيئته وبالطريقة التى يراها!

- ورفه عنى اننى لا أعرف الكثير عن القتيلة وان افتتانى بما كان نزوة عابرة أو حلما لم يطل..

- هل أزعجك الخطاب الذى تلقته اليانور غفلا من الإمضاء؟ هل كان ينذر بضياع ميراث العمة؟

- ليس للمال عندى هذه الأهمية التى تتصورها.

- هذا عزوف عجيب عن الدنيا..!!

- هذا لا يعنى أننى لا أبالى مطلقا بالأمور المادية، ولكننى وجدتها فرصة للاطمئنان على العمة فجئت واليانور.

- وماتت العمة فى الليلة التى كانت تزمع فيها كتابة وصيتها بمجرد وصول المحامى.

ـ اصغ الى يا مسيو بوارو! ماذا تريد أن تقول؟

– لقد حذر الخطاب اليانور من خطر ضياع الميراث أو بعضه.. وفى الردهة بالطابق الأول كانت حقيبة الممرضة هوبكنز وبداخلها مواد كيميائية وعقاقير من بينها أنبوبة مورفين وحدث – كما علمت– أن جلست اليانور وحدها مع عمتها بينما كنت أنت والممرضتان تتناولون العشاء.

– يا الله يا مسيو بوارو! أتعنى أن اليانور قتلت عمتها؟ يا له من ظن يثير العجب والسخرية!

– ألم تعلم أن المحقق طلب تشريح جثة العمة بدافع من هذا الشك؟

– نعم أعلم ولكنهم لن يجدوا شيئا يؤيد سخافة هذا التفكير من المحقق.

– واذا وجدوا.. فرضا؟

– كنت أظنك هنا لمساعدة اليانور؟

– هذا لا يمنع من مواجهة الحقائق يا مستر رودريك حاول أن تفكر وأن تعترف بأن اليانور كانت لديها الفرصة السانحة.

– ولماذا لا تكون احدى الممرضتين هى الآثمة؟

– ولكن هوبكنز كانت شديدة القلق بسبب اختفاء الأنبوبة ولم تكتم خبر اختفائها ولو كانت هى القاتلة لأسدلت على اختفائها الستار حتى لا توجه اليها الشكوك، وكذلك الحال مع أوبريان ثم أى دافع لهما على

ارتكاب جريمة لا يفيدان منها على الاطلاق!

فهز الشاب رأسه وقال:

- هذا حقيقى مع الأسف..

- اذن بقى أنت.

فروع رودى وصاح كالجواد الثائر:

- أنا؟

- نعم.. كان فى وسعك أن تأخذ الأنبوبة وأن تعطيها لمسز ويلمان ولكن كتابة الوصية كان معناها بلا شك أن تمنحك العمة جزءا من ثروتها ثم جاء موتها ضررا لك.. وهذا وحده الذى يبرئ ساحتك.

واسترد الشاب أنفاسه اللاهثة واستطرد بوارو قائلا:

- هناك شخصان يفيدان من موت العمة: اليانور وكاتب الخطاب الغفل من الإمضاء.. وهو شخص يكره مارى جيرارد ويعمل لمصلحتك ولا يريد فائدة لمارى من وراء موت العمة. الديك فكرة عن كاتب هذا الخطاب؟

- أنه شخص غير متعلم.

- قد يكون العكس، وأنه أراد فقط أن يخفى حقيقته بكتابته العرجاء فى الأسلوب والهجاء.. الا تكون مسز بيشوب هى كاتبته؟

- لا أظن.. أنها وقور وخطها جميل ولا تقدم على هذا.. ولكن لماذا لا تكون عمتى قد انتحرت بعد أن كرهت مرضها وعجزها عن الحراك؟

– لم يكن فى وسعها النهوض من فراشها والهبوط الى الطابق الأول وتناول الأنبوبة من حقيبة الممرضة..

– ولماذا لا تكون احدى الممرضتين قد عاونتها على ذلك؟ لان هذا يضعها فى خطر

– اذن فهو شخص آخر قد يكون..

– تكلم. تكلم.. متى قالت لك اليانور ذلك

– يا لك من ساحر.. كنا عائدين فى القطار بعد أن تلقينا برقية بأن العمة أصيبت بالفالج للمرة الثانية. وكانت اليانور شديدة الحزن على عمتها وراحت تتحدث عن كراهية المريضة لرقودها فى الفراش، وقد قالت اليانور ان الأولى لكثير من المرضى أن ينقذوا من آلامهم وأن ينعموا بالراحة التى ينشدونها.

– وماذا قلت أنت.

– وافقتها على رأيها لانه خير ما يجب أن تعمله المدنية.

– الا ترى أن اليانور ربما قتلت عمتها بدافع من الإشفاق عليها والرغبة فى وضع حد لآلامها.

– كلا.. كلا.. لا أتصور امكان ذلك.

– هذا ما توقعت أن تقوله..

وفى مكتب المحامى مستر سيدون، قوبل بوارو بحذر تام ان لم يكن بالريبة، وعدم الطمأنينة، وخاطبه المحامى قائلا:

– اسمك ليس غريبا على مسيو بوارو، ولكنى لا أدرى ما هو

مكانك من هذه القضية.

- انما أعمل بدعوة من موكلى. الدكتور لورد

- لا أظننا فى حاجة الى أية معاونة خارجية يا سيدى

- أهذا لأن براءة مسز اليانور غاية فى السهولة..؟

فطرفت عينا المحامى وقال: يخيل الى أنك تعرف الكثير عن هذه القضية.

- نعم يا مستر سيدون، وقد طلب منى مستر رودريك أن أعاون فى اكتشاف الحقائق التى قد تدرأ عن اليانور هذا الاتهام. وأطمئنك الى أننى لن أشاركك فى الأتعاب التى قدرتها لنفسك من وراء الاضطلاع بهذه القضية.

فأشرقت أسارير المحامى وقال:

- والواقع كذلك اننى مهتم بهذه القضية لاننى شعرت أن واجب الوفاء لمسز ويلمان يقتضى الدفاع عن ابنة أخيها وان كنت لم أعتد أن أزج بنفسى فى القضايا الجنائية.

- ثق يا سيدى أن المتهمة فى حاجة الى أكثر من طلاقة لسانك وقوتك المشهودة فى الفصاحة والخطابة والمرافعة.

- هذه حقيقتى يا مسيو بوارو وبماذا تنصح؟

- بأن تجيبنى عن أسئلتى بصراحة

- لا أستطيع أن أتعهد بالرد على كل سؤال لان بعض الردود يستلزم ان احصل اولا على موافقة عميلتى.

- هل لعمليتك مس اليانور أعداء؟
- كلا.. بقدر ما أعلم
- ألم تكتب الراحلة مسز ويلمان أية وصية فى حياتها؟
- كلا...
- هل كتبت اليانور وصية لنفسها؟
- نعم.. حديثا.. بعد وفاة عمتها
- لمن تركت ما تملكه؟
- هذا سر خاص لا أستطيع البوح به قبل أن أرجع أولا لعميلتى.
- سأتولى بنفسى مقابلتها
- قد تجد صعوبة كبيرة فى ذلك يا سيدى
- كل شئ سهل ميسر لدى بوارو



من يريد الثروة؟

- هل عثرت على شئ يا مسيو بوارو؟

- لقد قتلت اليانور مارى جيرارد بدافع الغيرة كما قتلت عمتها لترث أموالها أو بدافع الشفقة لتريحها من آلامها.. وليس لك يا دكتور سوى أن ترجح أحد هذين الدافعين على الآخر.

- هذا هراء.. واذا كان من الممكن أن تقدم امرأة على القتل بدافع الشفقة لأن المريض زوجها أو طفلها أو أمها فلست أتصور ذلك اذا كانت المريضة عمة لها مهما كانت تحب هذه العمة ولا تحتمل أن تراها تتعذب نهبا للآلام ولكنها كانت تكره المرض وتكره أن تظل قعيدة الفراش بلا حول ولا قوة.

فهز رأسه وقال:

- ربما كنت على حق يا دكتور لورد ولكن.. ألا يجوز أن تكون العجوز قد استطاعت إغراء رودريك بإنهاء آلامها؟

- كلا. كلا.. ان هذا الشاب آخر من يقدم على هذه الجريمة

خصوصا..

– خصوصا وأنه ليس مدلها بحب اليانور أو العمة حتى يندفع الى الزج بنفسه فى هذا المأزق.

– هو ذلك

– هذا يجرنا الى نفس المكان وهو أن أحدا غير اليانور لا يفيد من موت العمة وأن أحدا لا يكره مارى جيرارد غير اليانور، وبقى سؤال واحد يصح أن نلقيه على أنفسنا وهو: هل هناك من يكره اليانور؟

– لا أدرى وان كنت أرى ما ترمى اليه من البحث عن شخص يكون قد دبر ذلك بحيث تقع التهمة على اليانور دون غيرها.

– هذا مجرد رأى بعيد الاحتمال ولا يؤيده سوى ما نراه من تجمع الأدلة كلها على رأس اليانور.

ثم حدث الطبيب عن الخطاب الذى تلقته الفتاة غفلا من الإمضاء وكيف يعنى أن الفتاة حذرت من مارى جيرارد ومن محاولتها الظفر بثروة العمة كلها. فلما طلبت مسز ويلمان استدعاء المحامى وجدت اليانور ضرورة إخماد أنفاسها فى تلك الليلة. فصاح لورد:

– ورودريك ويلمان؟ انه ايضا كان يخشى أن تضيع الثروة منه أو من خطيبته!

– وعلى العكس كان من مصلحته أن تكتب العمة وصيتها لأنه كان واثقا من أنها لن تتركه من غير أن توصى له بشئ من ثروتها الطائلة فلما ماتت هكذا لم يظفر بشئ كما تعلم.

فأمسك الدكتور برأسه وهو يئن قائلا:

- دائما يعود الاتهام مرتدا اليها!!

- نعم.. ما لم نعرف الهمس الذى يدور حول مارى جيرارد. ويمنعها من الوصول الى حقيقته ايمان الناس بعدم الخوض فى مساوئ الموتى.

- اتعنى شيئا يمس سمعتها؟!

- أى شئ!! أى شئ!! أى شئ يسئ اليها وحسب!

- ثق أنك لن تجد ما يثير أى غبار حولها.

- لا تظننى أحاول أن أثير الأوحال حيث لا أوحال.. كلا يا صديقى ولكننى أشعر جيدا أن الممرضة هوبكنز تخفى حقيقة مشاعرها وأنها تخفى شيئا عن مارى لا تحب أن تلوكه الألسنة ولا تريد ان أهتدى اليه لأنه لا صلة له بالجريمة.. والذى يهمنى يا دكتور هو أن أعرف كل شئ، لعل شيئا يهدينى الى ظلم وقع من مارى على شخص آخر ويكون الدافع الى قتلها.

* * *

طوحت الممرضة أوبريان رأسها ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهى ترمق بوارو الجالس قبالتها الى احدى الموائد عندما قال:

- يسرنى أن أقابل من يمتلئ هكذا صحة وحيوية.. ولا شك فى أن مرضاك يشفون كلهم.

- قليلات من يمتن من مريضاتى مثل مسز ويلمان.

ثم تنهدت وقالت:

- لقد سمعت انهم اخرجوا جثتها وشرحوها.

- هذا طعن فى شهادة الدكتور لورد بأنها ماتت ميتة طبيعية ولا تنسى انه طبيب العائلة ويخشى أن يسئ اليها.

- الا يجوز أن تكون مسز ويلمان قد انتحرت؟

- ما كان فى استطاعتها وهى راقدة بلا حول ولا قوة أن ترفع احدى يديها عن الفراش.

- ربما ساعدها انسان على ذلك.

- أتعنى مس اليانور أو مستر رودريك أو مارى جيرارد؟ ان احدهم لا يجرؤ على ذلك.

- متى فقدت الممرضة هوبكنز أنبوبة المورفين؟

- فى نفس ذلك الصباح.

- الم يثر فقدها أى قلق فى نفسك أو نفسها؟

- حتى عندما تحدثت عن ذلك معى فى مقهى البلوتيت كان رأينا أنها تركتها على الموقد فسقطت فى سلة المهملات. ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك.

- وما رأيك الآن؟

- لن يكون لهوبكنز دخل الا اذا ثبت أن مسز ويلمان ماتت بفعل المورفين.

- وهل تشكين فى أن اليانور هى قاتلة مارى جيرارد؟

- رأيى انها دون غيرها القاتلة. انها كانت بجانب العمة وسمعت رغبتها فى كتابة الوصية فى مصلحة مارى جيرارد، ثم رأيتها بعينى وهى تتطلع الى مارى بنظرات تمتلئ بالحقد والكراهية.

- واذا كانت اليانور قد قتلت عمتها فماذا دفعها الى ذلك؟

- المال.. خوفها من ان تكتب لمارى كل ما تملكه.

- هل كانت مارى على دهاء كبير الى هذا الحد..؟

- لم تكن الفتاة فى حاجة الى دهاء ولكنه كان حبا طبيعيا وحنانا غير متكلف أغدقته الفتاة على من علمتها وانشأتها وأوفدتها الى الخارج لتتلقى أحسن العلوم والمعرف..

- انك غاية فى العقل والحصافة

- مالى والتحدث فيهما لا شأن لى به.

- يبدو لى أنك اتفقت مع الممرضة زميلتك على كتمان بعض الأشياء..

فهزت أوبريان رأسها وقالت:

- أى فائدة فى إثارة الأوحال وقصة قديمة بعد أن عاشت العجوز وماتت محترمة وقورا.. كان ذلك منذ زمن بعيد جدا ولقد كان من رأيى دائما أنه من الصعب على رجل أودعت زوجته مستشفى الأمراض العقلية أن يظل مرتبطا بها طوال حياته دون أن يقوى شئ على فك عقاله سوى الموت..

– نعم من الصعب جدا..

– ومن عجائب المصادفات أن أسمع اسما ثم لا ألبث بعد يومين أن أجده يطرق أذنى، وأن أرى صورة (فوتغرافية) وفى نفس الوقت تكون هوبكنز تصغى لقصة صاحب هذه الصورة ترويها مدبرة بيت الطبيب!!

– أكانت تعلم مارى جيرارد شيئا عن هذا..؟

– كلا بالطبع.. لم يفكر أحدنا فى التنغيص عليها بذكره دون فائدة..

* * *

ولم يتردد المفتش بيكلى فى تسهيل مهمة بوارو لدى مدير سكتلانديارد وسرعان ما سمح له بمقابلة السجينة اليانور كارليسل. وجلست الفتاة فى الطرف الآخر للمنضدة وحيدة مع بوارو الا من حارس يفصله عنهما جدار من الزجاج.

وتبدى للزائر ذكاء الفتاة وكبرياؤها وجمالها الفاتن.. وما لبث ان خاطبها قائلا:

– أنا بوارو.. أرسلنى الدكتور بيتر لورد اعتقادا منه أننى قد أستطيع مساعدتك.

فتمتمت الفتاة: بيتر لورد.

ثم ابتسمت وقالت:

– هذا فضل منه ومنك ولكننى أعتقد أن ليس فى وسعك عمل

شئ لمصلحتى.

- هل لك أن تجيبنى عن أسئلتى؟

- أتعتقد أولا أننى بريئة؟

- وهل أنت كذلك؟

- أهذا نوع من الأسئلة التى جئت تطرحها على؟ ما أسمها يا سيدى!!

- لقد قابلت ابن عمك مستر رودريك ويلمان وهو يبذل كل ما فى وسعه لمساعدتك.

- أعرف ذلك.

ولمس رقة فى صوتها فى هذه المرة فسألها:

- أهو غنى؟

- انه مسرف ولذلك لم يبق لديه الا القليل، ولكن أحدنا لم يهتم بذلك لأننا كنا نعلم أن يوما ما...

- سوف ترثين عمتك.

ثم تأمل عينيها واستطرد يقول:

- أظنك سمعت أن عمتك ماتت بالمورفين؟

- أنا لم أقتلها

- ألم تساعديها على قتل نفسها؟

- كلا.. كلا.

- ألم تعلمى بأن عمتك كتبت وصية ما من قبل؟

- كلا.. لم أعلم بهذا قط.

- وهل كتبت أنت وصيتك عندما حدثك الدكتور لورد عنها؟

- نعم..

ولمن تركت أموالك فى وصيتك؟

- لرودى.. تركت كل شئ لرودريك ويلمان.

- أيعرف ذلك؟

- كلا

- ألم تتحدثى بذلك اليه قبل كتابة الوصية؟

- كلا.. اطلاقا.. فما كان يرضى بأن أفعل ذلك.. ولا يعرف بما فعلته سوى مستر سيدون وكتبت مكتبه.

- هل أرسلت خطابك الى المحامى بالبريد؟

- نعم...

- هل أودعت بنفسك صندوق البريد؟

- كلا.. أرسلته مع بقية الخطابات.

- هل تلوت الخطاب أكثر من مرة قبل أن تحزمى رأيك على إرساله؟

- كتبته ثم قرأته، ومضيت الى المكتبة لاجئ بطوابع البريد ثم قرأته مرة أخرى.

- أكان معك أحد فى الغرفة؟

- رودى فقط.

- هل عرف ما كنت تفعلينه؟

- قلت لك.. كلا

- هل كان فى وسع احدا ان يقرأ الوصية فى اثناء غيابك فى المكتبة لإحضار طابع البريد؟

- لا أدرى. اذا كنت تعنى ان احد الخدم دخل الى الحجرة قبل ان يدخلها رودريك فقد كان يمكن ذلك.

- ولماذا تستبعدين ذلك على مستر رودريك.

فأجابته فى صوت مشوب بالاستخفاف: أؤكد لك أن رودى لا يقرأ خطابات الغير بحال.

- أفى ذلك اليوم بالذات خطرت لك فكرة قتل مارى؟

فاشتعل وجهها بالحنق وقال: أهو الدكتور لورد الذى أخبرك بذلك؟

- عندما أطللت من النافذة ورأيتها تكتب وصيتها الم تضحكى وتتساءلى: هل يمكن أن تموت هذه الفتاة؟

- وهل تثق بما أجيبك به؟ ألا تخشى ان اكذب عليك

ان المستمع الى الأكاذيب يستطيع أن يستنتج منها ما قد لا يستطيع استنتاجه من الأقوال الصادقة. فلنبدأ الآن: لماذا رفضت أن ترافقك مسز بيشوب الى المنزل؟

- رغبة منى فى أن أكون بمفردى.. لأننى كنت فى حاجة الى التفكير.

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

- اشتريت علبة سمك محفوظ ثم مضيت الى هنتربرى حيث صعدت الى حجرة عمتى ونقبت بعض الوقت فى أوراقها.

- ألم تعثرى بين تلك الأوراق على شئ خاص له سريته؟.

- استمرى أذن وارفضى الإجابة على ما لا يروقك من الأسئلة... ماذا فعلت بعد ذلك؟

- هبطت الى القبو وأعددت الشطائر.

- وكنت تفكرين فى تلك الأثناء فى القضاء على مارى

فامتقعت أسارير الفتاة ولكنها لم تبال بالرد عليه واستطردت تقول:

- أعددت الشطائر على الصحفة ومضيت الى الكوخ حيث كانت الممرضة هوبكنز مع مارى جيرارد فدعوتهما لالتهام بعض الشطائر فى المنزل فى غرفة الجلوس وبعد ان أكلنا تركت مارى واقفة بجوار النافذة وذهبت الى القبو حيث كانت الممرضة تغسل الصحاف فأعطيتها علبه السمك.

- وهل تغسل علبة السمك؟

- انها علبة من النوع الجيد الذى يحتفظ به لاستعماله فى حفظ التوابل وغيرها ولا يهمل بمجرد تفريغ محتوياته.

- وماذا حدث بعد ذلك؟ فيما فكرت اذ ذاك.

فقالت كالحالة: كان برسغ المرضة ندبة أشبه بعلامة أو أثر جرح، وقد أوضحت أن شوكة ورد من افريز الكوخ قد وخزتها. وطالما تشاحنت مع رودى فى صغرنا بسبب حبه الورد الأبيض وايثارى الورد الأحمر العطر، وطاف برأسى شبح كراهيتى لمارى جيرارد ولكنى سرعان ما أقصيته عن خاطرى. وشعرت بأننى لم أعد ابغضها فضلا عن ان اتمنى موتها.

ولكنك ما لبثت ان عدت الى غرفة الجلوس لتجديها تلفظ أنفاسها الأخيرة.

- أتريد أن تسألنى مرة أخرى: هل أنت التى قتلتها؟

فنهض على قدميه بسرعة وقال: لن اسألك شيئا. توجد أشياء لا رغبة لى فى معرفتها.



جمع الأدلة

كان الدكتور لورد فى انتظار القطار استجابة لرجاء بوارو فلما شاهده يهبط ابتدره قائلا:

- لقد بذلت ما فى وسعى لأحصل على أجوبة لأسئلتك يا مسيو بوارو فقد ذهبت مارى جيرارد الى لندن فى ١٠ يولية كما أستطيع ان أرافقك الى مسز سلاترى خادمة سلفى الدكتور رانسام.

- يحسن أن أقابلك هذه المرأة أولا.

- لقد قلت أنك تريد أن تذهب الى هنتريرى وفى وسعى أن أذهب معك الى هناك وان كنت لا أزال أعجب لعدم ذهابك الى اليوم باعتبار هنتريرى مكان الحادث.

- يبدو انك تقرأ كثيرا من القصص البوليسية يا صديقى ومع ذلك فقد سبقنى البوليس الى هنالك واستجمع الأدلة التى حملته على القبض على اليانور، ولكننى الآن أجدنى فى حاجة الى الذهاب الى هنتريرى بعد أن عرفت ما يجب أن أبحث عنه.

- اذن فأنت تعتقد أن هنالك أشياء فاتت رجال البوليس؟

- ربما.

- أهى فى مصلحة اليانور؟

- لا أدرى بعد. صبرا يا عزيزى

* * *

وتناولا الغداء بعد ساعتين فى منزل الطبيب فى غرفة جميلة تطل على الحديقة حيث قال لورد:

- هل اهتديت الى معرفة ما كنت تريده من العجوز سلاترى.

- نعم. وكان حديثنا عن الأيام الخالية لأن كثيرا من الجرائم تنبت جذورها فى الماضى وأظن جريمتنا من هذا النوع.

- الحق أننى لا أفهم كلمة مما تقول يا مسيو بوارو.

لماذا تتركنى أتخبط فى الظلام؟

- لأن الضياء لم ينبثق بعد ولأننى مازلت أصطدم بحقيقة لا تتغير وهى أن لا أحد تتوافر لديه الدوافع الى قتل مارى جيرارد غير اليانور.

- ولكن مارى كانت فى المانيا فترة طويلة.

- أعرف ذلك، وقد وافتنى عيونى بالمانيا بما يهمنى من المعلومات عن هذه الفترة.

- وهل لك عيون؟

- نعم واحدهم رجل كان من اللصوص الأشقياء ثم اهتدى، وكانت أول مهمة عهدت بها اليه أن ينقب كل ركن فى شقة مستر رودريك ويلمان.

- لماذا؟ هل تعتقد أن الشاب قد كذب عليك فى حديثه.

- الواقع أن كل انسان هنا حاول الكذب والتمويه حتى أنت.

- يبدو أن عدم تصديق الناس طبيعة فى نفسك! تعال بنا الى هنتريرى لأن لدى مرضى فيها.

- أنا رهن إشارتك يا دكتور.

ومضيا على الأقدام ودخلا من البوابة الخلفية، وفى منتصف الطريق الى المنزل قابلهما شاب طويل القامة صبيح الوجه يدفع عربة صغيرة أمامه ولما شاهدهما رفع قبعته باحترام فخاطبه لورد قائلا:

- طاب صباحك يا هرليك. هذا هرليك البستانى يا مسيو بوارو. لقد كان يعمل هنا فى ذلك الصباح.

فقال الشاب: نعم يا سيدى وقد شاهدت مس اليانور فى ذلك الصباح وتحدثت اليها.

فسأله بوارو ماذا قالت لك؟

- وعدتنى بالتوصية على والتحدث بشأنى الى الميجر سمر فيل الذى اشترى منها هنتريرى.

- هل كانت طبيعية يا هرليك؟

- نعم. فيما عدا أنها كانت منفعله بعض الشئ كانما يحتشد رأسها ببعض الأفكار.

- هل عرفت مارى جيرارد؟

- بعض الشئ يا سيدى. ولقد كان والدها يكره فيها روح التعالى

والتسامى ومبلغ ما حصلته من التعليم الراقى.

- أتستطيع أن ترى المنزل من حديقة الخضر؟

- كلا يا سيدى.

- لو أن انسانا قدم ووثب من نافذة القبو. هل فى وسعك أن تراه من حديقتك؟

- كلا .... كلا.

- متى ذهبت لتناول الغداء؟

- فى الساعة الواحدة يا سيدى.

- الم تر شيئا.. أى رجل يحوم فى المكان، أو أى شئ من هذا القبيل؟

فرفع حاجبيه مشدوها ثم قال:

- نعم. كانت هناك عربة فى خارج البوابة الخلفية.

فصاح لورد:

- لم تكن عربتى، فقد مضيت الى ويزنبرى فى ذلك الصباح ولم أعد الا بعد الثانية.

فبدأ الارتباك فى وجه الشاب البستانى ثم قال: لقد كانت سيارتك يا سيدى.

وأسرع الطبيب يقول: كلا. كلا. طاب يومك يا هرليك.

وظل الشاب يحملق فى ظهريهما الى أن اختفيا عن عينيه فعاد

يدفع عربته أمامه.

وقال الطبيب فى هدوء يخفى به انفعاله.

- ترى عربة من تلك التى كانت واقفة هناك فى ذلك الصباح فسأله بوارو. ما نوع سيارتك؟

- فورد! خضراء اللون وانا واثق أن تلك السيارة لم تكن سيارتى لسبب أهم وهو اننى كنت فى ويزنبرى وعدت متأخرا لالتهم غدائى بسرعة وما لبثت أن دعيت لإسعاف مارى جيرارد. اذن فقد كان هنا أحد فى ذلك الصباح غير اليانور ومارى وهوبكنز.

ولما اقتربا من المنزل امسك الطبيب بذراع بوارو وقال:

- هذه نافذة القبو الذى كانت اليانور تقطع فيه السندوتش.

ومن هنا كان فى وسع اى انسان أن يراها. فلنبحث لعل الذى وقف هنا كان يدخن.

وانحنى يفحص الأرض ويدفع الأوراق والأغصان جانبا..

ثم انتصب قائلا:

- ها هى علبة ثقاب يا صديقى. فارغة. يا الله انها صناعة أجنبية. علبة المانية ومارى جيرارد قد عادت حديثا من المانيا!

- ومضيا الى المنزل حيث فتح الطبيب الباب الخلفى بالمفتاح وقاد زميله الى المطبخ ثم الى ممر يفضى الى القبو وهناك راحا يتطلعان الى (الدولاب) والأدوات الخزفية والزجاجية والى موقد الغاز وآنية الشاى والقهوة على الرفوف والى الحوض والى المنضدة التى امام

النافذة، وقال الدكتور لورد:

- على هذه المنضدة كانت اليانور تقطع السندوتش وتحت الحوض وجدت قصاصة من البطاقة التى كانت حول أنبوبة المورفين، ولا شك أن أحدا كان يرقب الفتاة من الخارج فلما مضت الى الكوخ تسلل وفتح الأنبوبة وسحق بعض المورفين ووضعه على بعض السندوتشات دون أن يلحظ أنه قطع جزءا من البطاقة وانها سقطت بعيدا تحت الحوض وسرعان ما عاد الى سيارته التى تركها فى الخارج.

- تعال ننقب قليلا فى أنحاء المنزل.

وأخيرا وقفا فى الغرفه التى ماتت فيها مارى جيرارد بعد أن فتح الطبيب احدى نوافذها. ثم قال: يخيل الى اننا فى قبر.

- لو تستطيع الجدران أن تتكلم لقصت علينا كيف بدأت المأساة فى هذا المنزل... تعال بنا الى الكوخ.

ووجد فى الكوخ غرفة مرتبة تعلوها الأتربة ولم يبق فيها غير دقائق أسرعا بعدها الى الخارج حيث راح بوارو يتحسس أوراق الورود النامية على الحاجز الخارجى ثم قال:

- لقد حدثتنى اليانور عن طفولتها حين كانت تلعب هنا مع رودريك ويلمان ويختلفان أحيانا بسبب تعلقها بالورود الحمراء وشغفه هو بالورود البيضاء وهذا الفارق هو ما بينهما فعلا.

- ماذا تعنى؟

- هذا يوضح أخلاق اليانور وحبها الجارف لشخص لا يقوى على مبادلتها الحب. لنعد الآن يا صديقى الى الدعل الذى خلف القبو.

وهنا قال:

ـ لا يبعد أن تكون ماری جیرارد قد عرفت رجلا فی ألمانيا تبعها الی هنا وقد عقد العزم علی قتلها. ولكن انظر يا صديقی بعينی رأسك ما دمت لا تستطيع الرؤية بعين البصيرة! ماذا تری من هنا بالورد؟ نافذة. بجوارها فتاة تقطع سندوتشا ولكن كيف عرف الرجل ان هذا السندوتش سيقدم الی ماری جیرارد؟ أن اليانور وحدها هی التی كانت تعرف ذلك.

- اذن كان الرجل يريد قتل اليانور نفسها.؟

- هذا أقرب الی العقل والصواب يا عزيزی.

ولما طرق بوارو باب الممرضة هوبكنز فتحته ووجهها مغطی بالصابون ثم قالت بحدة:

- حسنا يا مسيو بوارو! ماذا تريد الآن؟

- هل لی أن أدخل؟

فغمغمت حانقه:

ـ تفضل.

ثم قدمت له قدحا من الشای الأسود كالحبر وهی تقول:

- جميل جدا.

فمضی يحركه فی حذر ثم استجمع شجاعته ورشف منه رشفه وقال:

- هل خمنت لماذا جئتك الآن؟

– وهل قالوا لك اننى قارئة أفكار؟

– لقد جئت اطلب اليك أن تصارحينى بالحقيقة.

فنهضت ثائرة غاضبة وصاحت:

– أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب! ولقد تحدثت عن أنبوبة المورفين صراحة، ولو كانت غيرى فى مكانى لأغلقت فمها واسدلت على ذلك ستارا كثيفا ولكنى لم اعتد الكذب ولم أخف شيئا أعرفه عن موت مارى جيرارد. ومستعدة لحلف اغلظ الإيمان فى المحكمة.

ولم يحاول بوارو أن يقاطعها لأنه كان يعرف كيف يسوس المرأة اذا تملكها الحنق وأخيرا قال فى هدوء: أنا لم اقل انك أخفيت شيئا عن الجريمة ولكننى فقط طلبت اليك أن تحدثينى بالحقيقة. لا عن موت مارى جيرارد. بل عن حياتها.

– ولكن. أى دخل لهذا فى الجريمة؟

– أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب! ولقد تحدثت عن معنى المعلومات عن حياتها. ثم من أدرانا أن يكون لذلك دخل. من بعيد أو قريب فى مصرعها؟

– لا أدرى بالضبط ماذا تعنى.

– سأعاودك. لقد تحدثت مع الممرضة أوبريان ومسز سلاترى التى تذكر جيدا ما حدث منذ عشرين عاما فعلمت أن حبا نشأ بين مسز ويلمان التى كانت اذ ذاك أرملة وبين السير لويس رايكروفت الذى كانت زوجته نزيله مستشفى الأمراض العقلية. وكان القانون فى ذلك الوقت يمنعه من ان يتزوج مرة اخرى ما دامت زوجته على قيد الحياة

كما كانت قوى زوجته البدنية وحالتها الصحية العامة ترجح انها قد تعيش الى سن التسعين. ولهذا ظل المحبان على صلة قوية أخفياها عن الكثيرين ثم مات الرجل فى الحرب.

– ثم ماذا؟

– ثم انجبت علاقتهما طفلة هى مارى جيرارد.

– ولماذا تسألنى ما دمت تعرف كل شئ؟

– برجاء أن أجد عندك الدليل القاطع على ما كنت أخمنه

فأخلدت الممرضة دقيقتين الى الصمت زوى فى أثنائهما ما بين حاجبيها ثم نهضت فجأة الى درج أخرجت منه ظرفا قدمته الى بوارو قائلة:

ـ سأخبرك كيف وقع بين يدى. فقد ثارت شكوكى عندما وجدت العجوز تغدق على الفتاة عطفا غير عادى، ثم سمعت جيرارد فى مرضة يهذى ويقول مارى ليست ابنته، فلما ماتت الفتاة وذهبت الى الكوخ لإخلائه عثرت فى درج على هذا الخطاب بين أوراق الكهل ورأيتنى مدفوعة الى قراءته.

وقرأ بوارو على الظرف:

ـ (الى مارى – يسلم اليها بعد موتى)

ورأى الحبر باهتا فقال:

ـ هذه الكتابة ليست حديثة.

فأجابته الممرضة:

- ليس جيرارد كاتبة ولكن زوجته التى ماتت منذ أربعة عشر عاما ويبدو أن جيرارد حفظه بين أوراقه ثم نسيه أو لم يعن بإعطائه للفتاة بعد موت أمها فلم تقرأ لحسن حظها والا ما استطاعت أن تظل مرفوعة الرأس الى أن توفيت.

وسكتت لحظة ثم استرسلت تقول:

- لقد كان المظروف مغلقا ولكننى سأقوم بفتحه وتلاوة الخطاب الذى بداخله اعتمادا على أن أبطال القصة قد ماتوا جميعا. يحسن أن تقرأه بنفسك يا مسيو بوارو.

وقرأ بوارو ما جاء فى ذلك الخطاب:

(هذه هى الحقيقة اكتبها لعل الحاجة تدعو يوما الى معرفتها. لقد كنت وصيفة مسز ويلمان فى هنتربرى ونعمت بعطفها وحدبها سنوات وقد حدث أن تورطت فى محنة تهدد سمعتى وشرفى فوقفت مسز ويلمان الى جانبى والحقتنى بخدمتها ولكن طفلى مات بعد أيام. وفى تلك الأثناء كانت سيدتى تحب السير لويس رايكروفت وكان بدوره يحبها الى درجة العبادة.

ولكنه لم يكن يستطيع أن يتزوجها لأن له زوجة فى مستشفى الأمراض العقلية. ولما شعرت سيدتى بالجنين ينمو فى أحشائها اخذتنى معها الى اسكتلندا حيث أنجبت طفلتها وحدث أن كتبت الى جيرارد وهو الرجل الذى غرر بى ليكفر عن اساءته فكان أن عدت اليه وتزوجته واتفقنا على أن نعيش فى الكوخ قريبا من مسز ويلمان وأن يعتبر (مارى) ابنته وأن ترعاها والدتها مسز ويلمان وترعانا بخيرها

وكرمها. وهكذا جهلت مارى الحقيقة المرة وأمسكت لسانى عن ذكر القصة لأى انسان ولكنى أرى من واجبى قبل أن أموت أن أسجل كتابة حقيقة ما حدث).

الأمضاء اليزا رايلى

وتنهد بوارو ثم طوى الخطاب فقالت الممرضة فى قلق:

- والآن ماذا تنوى أن تعمل؟ لقد مات أبطال القصة جميعا كما ترى ولا فائدة من نبش قبورهم خصوصا وقد كان الناس يرمقون مسز ويلمان بالإجلال والاحترام ومن القسوة جر اسمها الآن فى الأوحال والأقذار وكذلك كانت مارى فتاة دمثة طيبة ولا يجدر أن يعلم الناس انها سفاح، دع بالله عليك الموتى هادئين سالمين فى قبورهم.

- اخشى ان يكون لهذا الموضوع دخل فى الجريمة.

- لا أظن. لا أظن.

ثم خرج بوارو من الكوخ والمرأة مشدرهة تحملق فيه فى قلق وحيرة وما أن سار قليلا حتى أحس بوقع أقدام مترددة تتبعه. ولما التفت وراءه وجد البستانى هرليك بادى الارتباك يعتصر قبعته بين يديه فسأله:

- ماذا يا هرليك؟

- هل أستطيع أن افضى اليك بكلمة يا سيدى

- طبعا. طبعا.

- ان السيارة التى كانت خارج البوابة الخلفية فى صباح ذلك اليوم كانت سيارة الدكتور لورد.

- اواثق أنت من هذا؟

- كل الثقة يا سيدى لأنى أعرفها جيدا واحفظ رقمها وهو ٢٠٢٢.

- ولكن الدكتور ينفى ذلك ويقول انه كان فى ويزنبرى فى ذلك الصباح.

- أقسم لك أن تلك السيارة كانت سيارته.

- شكرا يا هرليك.



سر الحقيبة الصغيرة

لم تدر اليانور هل كان الطقس شديد الحرارة أو البرودة لأنها كانت جالسة فى قفص الاتهام ذاهلة العقل شاردة اللب زائغة العينين لهول ما ترى وتسمع.

وكانت تحس بالرعدة تتمشى فى أوصالها رغم العرق المتصبب من جبينها وهى تستمع الى وكيل النيابة يعود الى الماضى. من يوم تلقت الخطاب الغفل من الإمضاء الى يوم قابلها مفتش البوليس وقال لها:

– لدى أمر بالقبض عليك يا مس اليانور كارليسل بتهمة قتل مارى جيرارد بدس السم لها فى ٢٧ يوليو الماضى. وأحب أن أنبهك الى أن كل كلمة تنطقين بها سوف تسجل عليك وتجابهين بها يوم المحاكمة.

والآن. ها هى تجلس فى قفص الأتهام تتنابها الأنظار الحانقة الساخطة. وها هم المحلفون يتحاشون النظر اليها كأنما يعلمون أى كلمة هائلة ستنطق بها ألسنتهم بعد ما سمعوه من قوة الأتهام. ونودى الدكتور ليدلى بشهادته فوقف بوجهه الذى يعلوه الاكتئاب ليجيب فى نغمة رتيبة ويقول انه دعى تليفونيا الى هنتربرى بعد أن فات الأوان

فوجد مارى جيرارد تلفظ أنفاسها الأخيرة ثم ما لبث أن ماتت بعد بضع دقائق وكان موتها بتأثير المورفين.

وحينئذ وقف المحامى السير ادوين بالمر وقال:

- لقد ترددت على هنتربرى مرات فى يوليو الماضى وقابلت المتهمة ومارى جيرارد معا فكيف كان سلوك المتهمة نحو القتيلة؟

- غاية فى الود والائتلاف.

فابتسم السير ادوين ابتسامة الاستخفاف وعاد يسأله:

- ألم تلحظ أى دليل على الكراهية أو الغيرة بين الاثنين مما تلوكه الألسن؟

- كلا. اطلاقا.

وتبينت اليانور مبلغ الكذب المتعمد فى الأقوال التى أدلى بها الطبيب الشرعى حين أسهب فى شهادته وذكر نوع السم الذى ماتت به مارى جيرارد وكيف تبدو أعراضه على الضحية قبل وبعد أن تعاجله منيته.

وفى اليوم التالى عقدت المحاكمة مرة أخرى ونودى أخصائى التحليل فتحدث عن محتويات معدة القتيلة وكيف امتزج المورفين بالخبز والسمك والشاى وتدل كميته على انها لا تقل عن أربع قمحات تكفى لقتل أكثر من أربعة أشخاص. واذ ذاك سأله السير أدوين: لقد وجدت فى معدة القتيل خبزا وزبدا وسمكا وشايا ومورفينا فهلا وجدت شيئا آخر؟

- كلا وهذا يعنى ان القتيلة لم تأكل شيئا سوى الساندوتش لفترة طويلة.

- أليس هناك دليل على نوع الطعام أو الشراب الذى دس فيها المورفين؟

- كلا. ويجوز ايضا أن يكون المورفين قد ابتلع وحده ثم اختلط فى المعدة بمحتوياتها الأخرى.

- ولكن وجوده يقطع بأنه أخذ فى نفس الوقت مع الطعام الآخر والشالى واللبن؟

- هو ذلك يا سيدى..

- شكرا..

ثم نودى المفتش بريل وبعد أن حلف اليمين قال: دعيت الى المنزل، ولما توليت البحث عثرت على قصاصة صغيرة تحت الحوض أدركت أنها نزعت عن أنبوبة المورفين اعنى من البطاقة التى حولها..

وتناول المحلفون القصاصة وتفرسوا فيها كتب عليها:

(مورفين.. نصف قمحة..)

ونهض محامى الدفاع يسأل الشاهد: وهل عثرت على بقية البطاقة؟

- كلا..

- هل عثرت على أنبوبة من الزجاج أو أى قارورة كانت تلك البطاقة مثبتة عليها؟

- كلا..

- فى أى حالة كانت تلك القصاصة عندما عثرت عليها؟

- كانت نظيفة الا من بعض الغبار الذى لحق بها من إلقائها على الأرض منذ وقت قصير..

ونوديت الممرضة هوبكنز فوقفت بادية الاعتداد بنفسها غير هيابة أو وجلة ثم قالت: اسمى جيسى هوبكنز وأقيم فى كوخ فى هنتربرى.

- هل أنت ممرضة المنطقة؟

- نعم..

- أين كنت فى ٢٨ يونيه الماضى؟

- فى منزل مسز ويلمان اذ أصابتها نوبة من الشلل فدعيت لمساعدة الممرضة أوبريان الى أن يجدوا ممرضة أخرى مقيمة؟

- هل حملت معك حقيبة صغيرة؟ وماذا كان بها؟ كان بها أربطة وضمادات ومحقن تحت الجلد وبعض الأدوية والعقاقير وأنبوبة من هيدروكلوريد المورفين.

- ولماذا كنت تحتفظين بهذه الأنبوبة؟

- لمعالجة احدى المريضات فى القرية بإعطائها حقنة فى الصباح وأخرى فى المساء..

- وماذا كانت تحوى؟

- عشرين قرصا يحتوى كل منها على نصف قمحة من هيدرو كلوريد المورفين..

- وماذا فعلت بحقيبتك؟

- وضعتها فى الردهة.

- كان ذلك فى مساء ٢٨ يوليو فمتى أتيح لك مشاهدتها مرة أخرى؟

- فى الصباح التالى حوالى الساعة التاسعة عندما كنت أهم بمغادرة المنزل.

- هل وجدت شيئا من محتوياتها مفقودا؟

- نعم.. أنبوبة المورفين.

- أذكرت ذلك لأحد.

- تحدثت عن فقدها الى الممرضة أوبريان التى كانت ترعى المريضة.

- هل وضعت الحقيبة فى ردهة يذرعها الناس جيئة وذهابا؟

- نعم..

- هل كنت تعرفين الفتاة الميتة - مارى جيرارد - معرفة جيدة؟

- نعم..

- وماذا كان رأيك فيها؟

- كانت فتاة طيبة ظريفة حلوة الشمائل.

- هل كانت سعيدة فى حياتها؟

- ومشرقة كالوردة المتفتحة.

- ألم تهمها شواغل تعرفينها؟

- كلا.. اطلاقا.

- هل كانت وقت موتها تشعر بتعاسة أو ابتئاس أو تخشى مستقبل أيامها؟

- كلا. لا شئ من هذا القبيل.

- هل كان لديها من الأسباب ما يدفعها الى الانتحار؟

- كلا.. كلا.. قلت انها كانت سعيدة مشرقة

ثم راحت تروى كيف رافقتها الى الكوخ وتحدثت عن قدوم اليانور ودعوتها لهما الى تناول السندوتش وكيف قدمت الصحفة الى مارى ثم اقترحت غسل كل شئ حتى علبة السمك المحفوظ وكيف اقترحت كذلك على الممرضة هوبكنز أن تصعد معها لتساعدها فى فرز الملابس.

وقد قاطعها السير أدوين مرارا أثناء هذه الرواية بينما قالت اليانور لنفسها: هذا كله حقيقى.. هذا هو الواقع وان كان مخيفا!

وتطلعت مرة أخرى عبر الردهة فشاهدت بوارو يتأملها وهو غائص فى يم من التفكير وقد تبدت آيات الرثاء والإشفاق عن أساريره.

وامتدت يد وكيل النيابة الى الشاهدة بقصاصه الورق ثم سألها:

- أتعرفين ما هذه؟

- هذه قطعة من بطاقة أنبوبة تحتوى على أقراص المورفين.. كالأنبوبة التى فقدت من حقيبتى.

- أواثقة أنت من ذلك!

- كل الثقة.. هذه منزوعة من أنبوبتى.

فقال القاضى:

- كل ما تستطيعين قوله أنها تشبه البطاقة التى كانت على أنبوبتك لا أنها نفس البطاقة.

- هذا ما اعنيه يا سيدى.

وارجئت المحاكمة الى اليوم التالى.. وبدأ السير أدوين فى استجواب الممرضة. فسألها فى حدة:

- هذه الحقيبة التى سمعنا عنها الكثير. هل تركتها فى ٢٨ يولية فى الردهة الكبيرة؟.

فأجابته الممرضة هوبكنز: نعم.

- ولكن هذا إهمال شنيع!!

- هو ذلك للأسف.

- أهى عادتك دائما أن تتركى العقاقير الخطرة حيث يستطيع أى أنسان أن يحصل عليها؟

- كلا بالطبع يا سيدى.

- ولكنك فعلت ذلك فى تلك الليلة فكان فى وسع أى انسان بالمنزل أن يحصل على المورفين متى أراد؟

- أظن ذلك.

- لا أظن هناك.. بل هو الذى حدث!

- نعم.. كان فى وسع واحد من الخدم أن يأخذه.. كما كان ذلك

فى مقدور الطبيب ومستر رودريك ويلمان والممرضة اوبريان ومارى جيرارد نفسها.

- هل فطن أحد الى انك تحملين المورفين فى حقيبتك؟

- لا أعلم..

- ألم تتحدثى عن ذلك الى أحد!

- كلا..

- أذن فلم تكن مس اليانور تعلم أن بحقيبتك مورفينا؟

- الا اذا كانت فتحتها ونظرت الى ما فيها.

- هل ترين ان من المحتمل حدوث ذلك؟

- لا أدرى.

- ومارى جيرارد.. أكانت تعلم بوجود مورفين؟

- كلا.. اطلاقا

- ولكنها تتردد على كوخك..

- ليس كثيرا..

- ان ترددها على كوخك يتيح لها ان تعرف ما تضعينه فى حقيبتك.

- لا أظن يا سيدى.. لا اعتقد انها كانت تعلم بوجود المورفين فى الحقيبة.

- ألم تقولى فى الصباح لزميلتك الممرضة أوبريان أنك تركت الأنبوبة فى منزلك وأنك سوف تعودين من أجلها؟

- كلا لم يحدث هذا؟

- الم تقولى انك تركت الأنبوبة على الموقد فى كوخك؟

- كان ذلك مجرد تخمين عندما لم أجدها فى الحقيبة. وكيف يتفق التخمين مع تأكيدك انها كانت فى الحقيبة أثناء وجودها بردهة هنتريرى؟

- لأننى عدت فتذكرت انى وضعتها فى الحقيبة.

- الواقع انك امرأة شديدة الأهمال!.

- هذا ليس صحيحا.

- هل المحت الى وخز وردة برسغك فى ٢٧ يولية.. يوم توفيت مارى جيرارد؟

- لا أرى دخلا لذلك فيما نحن فيه!

وتدخل القاضى قائلا: هل تصر على سؤالك يا سير أدوين؟

فأجاب هذا:

- نعم لأن له دخلا كبيرا فى مهمة الدفاع ولأن فى نيتى دعوة شهود لاثبات أن هذا الوخز كان أكذوبة.

ثم استطرد يقول للشاهدة:

- أما زلت تقولين بان شوكة ورد قد وخزت رسغك فى ٢٧ يولية؟

- نعم.. نعم..

وتجلى التحدى فى عينى الممرضة ولكن محامى المتهة عاد يسألها:

- متى حدث ذلك؟

- قبل مغادرتى الكوخ فى طريقى الى المنزل فى صبيحة ٢٧ يولية.

- أى نوع من أشجار الورد كانت تلك الشجرة؟

- من النوع المتسلق النامى خارج الكوخ.

- أواثقة أنت من ذلك؟

- كل الثقة..

فصمت السير أدوين لحظة ثم سألها:

- أما زلت مصرة على أن المورفين كان فى حقيبتك عندما قدمت الى هنتريرى فى ٢٨ يونية؟

- نعم.. كانت الأنبوبة فى حقيبتى حينذاك.

- وماذا لو أقسمت الممرضة أوبريان انك رجحت تركها فى منزلك؟

- هذا لا يمنع من اننى واثقة من أن الأنبوبة كانت فى حقيبتى.

- ألم يساورك القلق عندما اكتشفت فقدها؟

- كلا..

- رغم علمك بان فقدها يعنى فقد كمية كبيرة من العقاقير الخطرة؟!

- لم يدر بخاطرى آنذاك أن انسانا أخذها

- ولماذا لم تبلغى رسميا عن فقدها؟

- لاننى لم أتوجس خفية لفقدها كما قلت.

وتضرجت وجنتاها عندما عاد يقول:

- هذا إهمال اجرامى من جانبك يدل على انك لا تقدرين التبعات.

هل حدث فى ٦ يولية أن كتبت مارى جيرارد وصيتها؟

- نعم ظنا منها أن هذا ما توجبه الحكمة.

- ألم يكن ذلك بسبب شعورها بالضيق أو القلق على مستقبلها؟

- هراء.

- أتعلمين شيئا عما تمتلكه الفتاة، ويصح أن يرثه الغير عنها؟

- لم تكن تملك شيئا على الاطلاق اذ ذاك ولكنها كانت توشك أن تحصل على الفى جنيه من مس اليانور.

- بطريق الاكراه أم كرما من مس اليانور.

- كرما منها وبمطلق حريتها.

- وكيف يتأتى هذا مع كراهيتها لمارى

- لا أدرى..

- ألم تسمعى ثرثرة أو شائعات عن العلاقة بين مارى جيرارد ومستر رودريك ويلمان.

- لقد كان معجبا بها مفتونا بجمالها.

- هل لديك دليل على ذلك

- كلا.. فقد لاحظت ذلك

- أخشى الا يقنع المحلفون بأنك لاحظت ذلك. ألم تقولى مرة أن

مارى كانت تعلم أنه خطيب اليانور وانها صارحته بذلك فى لندن.

- هذا ما قالته لى

وهنا تدخل وكيل النيابة ليسألها:

- عندما كانت مارى جيرارد تتحدث اليك عن وصيتها هل حدث أن أطلت المتهمة من النافذة؟

- نعم فعلت ذلك

- وماذا قالت؟

- قالت: (هذا مضحك! هذا عجيب) ثم ضجت بالضحك وفى اعتقادى أنها منذ تلك اللحظة خامرتها فكرة التخلص من مارى وقررت فى نفسها قتلها.

فصاح القاضى محتدا: الزمى الإجابة عن الأسئلة التى تطرح عليك فلسنا فى حاجة الى سماع ما تعتقدين! أرجو حذف الجزء الأخير من جوابها.

وقالت اليانور لنفسها: يا للعجب أيريد حذف ما هو حقيقى؟

ثم ودت لو تستطيع الضحك عاليا..

وجاء دور الممرضة أوبريان فأقسمت اليمين وسئلت:

- هل أفضت اليك الممرضة هوبكنز بشئ فى صبيحة يوم ٢٩ يونيه؟

فأجابت: نعم حدثتنى عن اختفاء أنبوبة مورفين كانت فى حقيبتها، وقد ساعدتها فى البحث عنها بلا فائدة.

- هل تركت الحقيبة طوال الليل فى الردهة؟

- نعم..

- أكان مستر ويلمان والمتهمة يقيمان فى المنزل عندما ماتت مسز ويلمان أى من ٢٨ يونية الى ٢٩ منه.

- نعم..

- هل لك أن تقصى علينا حادثا وقع فى ٢٩ يونية.. أى فى اليوم التالى لوفاة مسز ويلمان..؟

- شاهدت مستر رودريك يحدث مارى جيرارد عن حبه ورأيته يحاول تقبيلها رغم أنه كان خطيبا لمس اليانور.

- وماذا حدث بعد ذلك.

- طلبت اليه مارى أن يخجل من نفسه وهو خطيب لليانور.

- ما رأيك الخاص فى شعور المتهمة نحو مارى جيرارد!

- كانت تكرها وتنم نظراتها عن الرغبة فى كتم أنفاسها

- هل حدث أن قالت لك الممرضة هوبكنز انها ربما تركت أنبوبة المورفين فى منزلها؟

- نعم قالت ذلك..

- أكانت بادية القلق من جراء اختفاء الأنبوبة.

- كلا.. لانها لم يخامرها ظن فى أن يكون انسان ما قد اخذها.

- ألم يحدث أى شجار بين المتهمة ومارى جيرارد؟

- كلا لا شئ من هذا قط.

- هل أنت ايرلندية؟

- نعم.. وماذا فى ذلك؟

- لا شئ سوى أن الايرلنديين مشهورين بسعة الخيال.

- ثق ان كل ما قلته هو الواقع بلا زيادة أو نقصان.

ووقف البدال يدلى بشهادته القصيره فى تعثر وارتباك ويؤيد ما قالته المتهمة عن حوادث التسمم بالسمك.



الصفقة

وبدأ الدفاع خطابه قائلا: سادتى المحلفون:

يحق لى أن أقول أن لا وجه لإقامة الدعوى على المتهمة ولاشك عندى أنكم لا تجدون ما يدعو الى اتهامها. يقول الاتهام ان اليانور كارليسل حصلت على المورفين لتسميم مارى جيرارد مع أن هذه المتهمة نفسها يمكن أن توجه بنفس السهولة الى جميع من كانوا بالمنزل فى ذلك الوقت وأتيحت لهم نفس الفرصة وقد اعتمد الاتهام على هذه الفرصة وحدها ثم حاول البحث عن الدافع حيث لا دافع على الاطلاق. أما فصم الخطوبة بين اليانور ورودريك ويلمان فليس سببا لارتكاب جريمة قتل والا لسمعنا فى كل يوم عن حوادث قتل متعمدة من هذا القبيل.

ثم أرجو ان تلاحظوا ان هذه الخطوبة لم تكن وليدة حب جارف بل خطوبة ولدتها العلاقة العائلية وحدها وترعرع الأثنان معا.. وكذلك أرجو أن تلاحظوا أن فصم الخطوبة لم يجئ من الخطيب دائما وانما

من المتهمة، وفى وسعى أن أؤكد لكم أن هذه الخطوبة ما كانت لتتم الا رغبة فى إرضاء العجوز مسز ويلمان. فلما ماتت تحقق الخطيبان من ان شعورهما ليس من القوة والتبادل بحيث يبرر زواجهما فانفصمت الخطوبة

(هذا وقد شاء كرم اليانور ودماثه خلقها ورقة طبعها أن تهب مارى جيرارد مبلغا كبيرا من المال الذى ورثته. ثم نأتى الآن ونتهمها بقتلها فهل بعد ذلك تناقض؟

(ان كل ما يؤخذ على اليانور الظروف التى تمت فيها واقعة التسمم دون أن ينهض دليل واحد على أدانتها بتلك الجريمة المروعة.

(لقد نهض ممثل الاتهام فقال:

- ما كان فى وسع أحد غير اليانور كارليسل أن يقتل مارى جيرارد)

(ولما طلب اليه إيجاد الدافع لم يستطع لأنه لا دافع لدى اليانور الى ذلك على الإطلاق.

- ثم لماذا نقطع بقتل الفتاة ومن الجائز أن تكون قد انتحرت؟ ولماذا لا يكون هناك من دس السم فى السندوتش عندما كانت اليانور فى الكوخ! ولماذا لا نبحث عن شخص ثالث أتيحت له نفس الفرصه وكان المورفين فى حيازته ولديه الدافع الكافى لقتل ضحيته؟

- سوف أدعو لكم من الشهود من يؤيد هذا ولكننى سأطلب أولا الى المتهمة ان تروى لكم قصتها بنفسها لتروا بأنفسكم على أى أساس واه أقام الاتهام دعواه).

ومضت اليانور تقسم اليمين وتجيب عن أسئلة السير أدوين فى صوت خافت بينما انحنى القاضى الى الأمام وطلب اليها أن ترفع صوتها، وكان صوت السير ادوين رقيقا مشجعا وهو يقول:

- هل كنت تحبين رودريك ويلمان؟

- جدا فقد كان أشبه بأخ لى أو ابن عم.

- هل توترت العلاقة بينكما قليلا بعد موت عمتك؟

- نعم.

- لأى سبب؟

- لشعور رودريك بأن الناس قد يرون فى زواجنا صفقة تجارية من جانبه.

- ألم يكن لمارى جيرارد دخل فى فصم خطبتكما.

- أظن رودريك قد استهواه جمالها ولكننى لا أعتقد أنه كان جادا فى سعيه وراءها.

- أكنت تتألمين لو كان جادا فى عواطفه نحوها؟

- كلا. اذ كنت أراها غير جديرة به.

- هل أخذت أنبوبة مورفين من حقيبة الممرضة هوبكنز فى ٢٨ يونية.

- كلا.. أبدا

- هل كنت تعلمين أن العمة لم تكتب وصية من قبل؟

- كلا ولذلك دهشت عندما فوجئت بأنها تطلب محاميها لتكتب وصيتها.

- ولماذا فكرت فى منح مارى جيرارد ألفى جنيه من ميراثك.

- لأن عمتى عاجلها الموت قبل أن تستطيع كتابة وصيتها ولو فعلت لكتبت شيئا لهذه الفتاة لأنها كانت تحبها وكانت شديدة القلق فى ليلة موتها لأنها لم تكتب لها شيئا من قبل ولهذا وجدتنى مسئولة عن ضمان مستقبل الفتاة ومطالبة برد جميلها ومكافأتها على ما أظهرته لعمتى من العطف والرعاية والحنان.

- هل قدمت من لندن فى ٢٦ يولية ونزلت فى فندق كنجز آرمز؟

- نعم..

- وماذا كان غرضك من الذهاب الى هنتربرى؟

- تلقيت عرضا بشأن المنزل والرجل الذى اشتراه أراد أن ينتقل اليه فى أسرع وقت ممكن فكان على أن أفرز ممتلكات عمتى الشخصية وأن أرتب الأمور عامة.

- هل اشتريت بعض المأكولات وأنت فى طريقك الى المنزل يوم ٢٧ من يوليو؟.

- نعم.. ظننت انه من الأسهل شراء غذاء جاهز لأتناوله هناك بدلا من العودة الى القرية.

- هل ذهبت بعد ذلك الى المنزل وهل قمت بفحص حاجات عمتك الشخصية؟.

- نعم فعلت.

- وبعد ذلك؟

- نزلت الى المطبخ وأعـدت بعض الشطائر (السندوتشـات) ثم ذهبت الى الكوخ الملحق بالمنزل ودعـوت الممـرضـة ومـارى جيـرارد للحضور الى المنزل.

- لماذا فعلت ذلك؟.

- أردت أن أجنبهما مشقة السير فى الحر للذهاب الى القرية ثم العودة مرة أخرى.

- اذن كان عملك طبيعيا ويدل على الطيبة من ناحيتك وهل قبلتا الدعوة؟.

- نعم وسارتا معى الى المنزل.

- أين كانت (السندوتشات) التى أعددتها؟.

- تركتها فى المطبخ على طبق.

- هل كانت النافذة مفتوحة؟

- نعم.

- هل كان بامكان أى شخص الدخول الى المطبخ فى أثناء غيابك؟.

- طبعا.

- اذا كان هناك شخص يقوم بمراقبتك من الخارج أثناء إعدادك (السندوتشات) فماذا كان يدور بخلده؟

– اعتقد انه كان يظن اننى أعد غداء خفيفا مثل الذى يعد للرحلات.

– ما كان ليعلم اذن ان أحد سيشاطرك الغداء؟.

– لا .. لأن فكرة دعوة الأثنتين لم تخطر لى الا عندما رأيت كُمية الطعام التى عندى.

– اذن فأنه اذا كان أحد قد دخل المنزل أثناء غيابك ووضع المورفين فى احد (السندوتشات) فان المقصود بذلك هو (تسميمك أنت؟.

– أظن ذلك.

– ما الذى حدث عندما وصلتم جميعا الى المنزل؟.

– ذهبنا الى غرفة الجلوس وأحضرت (السندوتشات) وقدمتها للاثنتين.

– هل شربت معهما شيئا؟.

– شربت ماء وكانت هناك بيرة على المائدة ولكن الممرضة هوبكنز ومارى فضلتا الشاى وذهبت الممرضة هوبكنز الى المطبخ واعدته وأحضرته على صحفة وقامت مارى بصبه.

– هل شربت منه شيئا؟.

– لا.

– ولكن الممرضة هوبكنز ومارى شربتا شايا؟.

- نعم.

- ماذا حدث بعد ذلك؟.

- ذهبت الممرضة هوبكنز وأطفأت موقد الغاز.

- وتركتك وحدك مع مارى جيرارد؟.

- نعم.

- ماذا حدث بعد ذلك؟.

- بعد دقائق قليلة رفعت الصحفة وطبق (السندوتشات) وحملتهما الى المطبخ وكانت الممرضة هوبكنز هناك وقمنا نحن الاثنتين بغسل الصحاف والأقداح.

- هل كانت أكمام الممرضة مرفوعة فى ذلك الوقت؟.

- نعم لأنها كانت تغسل الأوعية على حين كنت أنا أقوم بتجفيفها.

- هل أدليت لها بملاحظة معينة عن خدش فى رسغها؟.

- سألتها اذا كانت قد وخزت نفسها.

- وماذا كان جوابها؟.

- قالت:

(انها شوكة من شجرة الورد التى فى خارج الكوخ وسأخرجها حالا).

- ماذا كانت عليه تصرفاتها فى ذلك الوقت؟.

- أظن أنها كانت متأثرة بالحرارة اذ كانت غارقة فى العرق وكان وجهها شديد الشحوب.

- ما الذى حدث بعد ذلك؟.

- ذهبنا الى أعلى وساعدتنى فى الأشياء الخاصة بعمتى.

- ومتى نزلتما فيه الى (الطابق) الأرضى مرة أخرى؟

- بعد حوالى ساعة.

- أين كانت مارى جيرارد وقتئذ؟

- كانت جالسة فى غرفة الجلوس وكانت تتنفس بصعوبة وهى فى غيبوبة فطلبت الدكتور تليفونيا بناء على تعليمات الممرضة هوبكنز ووصل قبل أن تموت بلحظات.

وهنا نصب سير أدوين قامته فى حركة (دراماتيكية) وقال:

- مس كارليسل... هل قتلت مارى جيرارد؟.

وبرأس مرتفع وعينان تنظران اليه فى استقامة قالت:

- لا..

وجاء دور سير صامويل انتبرى ممثل الادعاء فاذا بقلبها يخفق بشدة.. الآن.. الآن ستكون تحت رحمة العدو.. لن تكون هناك رقة.. لن تكون هناك أسئلة تعرف الإجابة عنها..

ولكنه بدأ أسئلته رقيقا وقال:

- هل كنت مخطوبة وعلى أهبة الاقتران بمستر رودريك ويلمان

- وأنا أقول أنك كنت هائمة بحب رودريك ويلمان وتغارين كما قلت لنا؟.

- نعم.

- هل كنت مغرمة به؟.

- جدا.

- وانا اقول انك كنت هائمة بحب رودريك ويلمان وتغارين بشدة من حبه لمارى جيرارد، أليس كذلك؟

- نعم.

- انك قررت باصرار ان تريحى تلك الفتاة من طريقك على أمل أن يعود اليك رودريك ويلمان.

- طبعا لا..

وتتابعت الأسئلة.. كانت كأنها فى حلم.. حلم سيئ.. كابوس.. سؤال يليه سؤال.. أسئلة مؤلمة ومفزعة.. وكانت معدة من قبل للاجابة عن بعضها.. ولكن البعض الآخر كان مفاجأة لم تستعد لها..

وكانت تحاول دائما أن تتذكر (الدور) الذى عليها ان تؤديه والا تنسى ذلك مرة واحدة.. كان تقول مثلا:

- نعم.. لقد كنت أكرهها.. نعم.. لقد تمنيت لها الموت نعم طوال الوقت الذى كنت أعد فيه (السندوتشات) كنت أفكر فى موتها..

وكان عليها دائما ان تبقى متماسكة وان تكون إجاباتها مقتضبة

وخالية من الانفعال على قدر الامكان..

لقد انتهى الأمر الآن.. وهذا الرجل ذو الأنف اليهودى بدأ يجلس وها هو ذا صوت سير ادوين بلومر الرقيق العطوف يلقى عليها مرة أخرى قليلا من الأسئلة.. أسئلة سهلة سارة الغرض منها إزالة الأثر السيئ الذى تركه أسئلة الادعاء.

* * *

وها هو رودى يتكلم للإدلاء بأقواله.. وقد ظهر عليه أنه كاره للامر كله.. وكأنه ليس هو حقا..

ولكن لا شئ حقيقى بعد.. فكل شئ يدور بطريقة شيطانية فالأسود قد صار ابيض وما كان فى القمة اصبح فى الحضيض والشرق أصبح غربيا.. وأنا.. أنا لست اليانور كارليسل.. لقد أصبحت (المتهمة).. وسواء شنقونى أو أخلوا سبيلى فلن يعود أى شئ الى ما كان عليه من قبل.. لو كان هناك شئ.. شئ واحد معقول أتمسك به.. فربما يكون وجه بيتر لورد.

اين وصل سير ادوين؟.

- هلا قلت لنا ماذا كانت عليه مشاعر مس كارليسل نحوك؟.

وأجاب رودى بصوته الرقيق.

- أقول انها كانت تميل الى بشدة ولكنها بالتأكيد لم تكن تحبنى عاطفيا.

- هل كنت راضيا عن خطبتك؟.

- تماما.. فنحن متوافقان فى كثير من الأمور.

- هلا ذكرت للمحلفين يا مستر ويلمان لماذا فسخت الخطبة؟.

- حسنا.. بعد موت مسز ويلمان اظن أننا أصبنا بصدمة وأنا لم اعجب بفكرة الزواج بامرأة غنية فى الوقت الذى لا أملك فيه شيئا.. وفى الواقع أن الخطبة قد ألغيت بناء على اتفاق متبادل.. ولقد شعر كلانا بضرورة الخلاص.

- والآن هلا ذكرت لنا بالضبط ماذا كانت عليه علاقتك بمارى جيرارد؟.

- (أوه.. رودى.. رودى المسكين.. لابد انك كاره لكل هذا..).

- ظننت انها جميلة جدا.

- هل كنت تحبها؟.

- قليلا.

- متى كان آخر مرة رأيتها فيها؟.

- دعنى أتذكر.. لابد ان ذلك أما يوم ٥ أو يوم ٦ من يوليو.

فقال سير ادوين وفى صوته نبرة فولاذية:

- أظن أنك رأيتها بعد ذلك.

- لا.. لقد ذهبت الى الخارج.. الى البندقية ودالماسيا..

- متى عدت الى انجلترا؟.

- عندما تسلمت برقية. دعنى أتذكر. فى اليوم الأول من أغسطس.

- ولكنى أظن أنك كنت فى انجلترا يوم ٢٧ من يوليو.

- لا..

- تذكر انك قد أقسمت اليمين يا مستر ويلمان.. الا يدل جواز سفرك على انك عدت الى انجلترا يوم ٢٥ من يوليو وغادرتها مرة أخرى ليلة ٢٧ من يوليو.؟

وكان فى صوت سير ادوين نبرة تهديد.. وقطبت اليانور جبينها وقد عادت الى الواقع فجأة.. لماذا يقوم الدفاع بمهاجمة الشاهد الذى يستند إليه؟.

وكان وجه رودى قد شحب.. وقد ران عليه الصمت دقيقة أو دقيقتين.. ثم قال فى صعوبة.

- حسنا.. نعم.. هذا هو الواقع.

- هل ذهبت لرؤية تلك الفتاة مارى جيرارد فى لندن فى مسكنها يوم ٢٥ من يوليو؟

- نعم.. فعلت.

- هل طلبت منها أن تتزوجك؟.

- نعم..

- ماذا كان جوابها؟.

- رفضت.

- أنت لست غنيا يا مستر ويلمان؟.

- لا..

- وأنت مدين بمبالغ كبيرة؟.

- وما دخلك أنت؟.

- ألم تكن على علم بأن مس كارليسل قد تركت لك كل أموالها فى حالة موتها؟.

- هذه أول مرة اسمع فيها ذلك.

- هل كنت فى ميدنز فورد فى صباح يوم ٢٧ من يوليو؟.

- لم اكن.

وجلس سير ادوين.

فقام ممثل الادعاء ليسأل:

- تقول أنك تظن أن المتهمة لم تكن تحبك بشدة؟

- هذا ما قلته..

- هل أنت رجل شهم يا مستر ويلمان؟.

- لا أعرف ماذا تعنى؟

- اذا كانت هناك سيدة تحبك بشدة وأنت لا تحبها فهل تشعر أن من واجبك أن تخفى الحقيقة؟.

- طبعا لا.

- أين كنت دراستك يا مستر ويلمان؟.

- فى أيتون.

فقال سير صامويل بابتسامة هادئة:

- هذا هو كل شئ.

وتوالى الشهود

* * *

الفريد جميس وارجريف

- هل تعمل فى تربية الزهور وتسكن فى امزورث ببركنز؟.

- نعم.

- هل ذهبت يوم ٢٠ من أكتوبر الى ميدنز فورد لتفحص شجرة ورد نامية خارج الكوخ الملحق بهنتربرى.

- فعلت.

- هلا وصفت لنا تلك الشجرة؟.

- أنها من أشجار الورد المتسلقة وزهرتها قرمزية ذات رائحة جميلة وليس لها أشواك.

- هل من المستحيل اذن ان يوخذ المرء من شجرة ورد من ذلك النوع؟

- من المستحيل تماما .. فانها شجرة غير ذات أشواك.

لا أسئلة من الطرف الآخر.

– هل أنت جميس آرثر ليتلديل.. كيميائى مؤهل تعمل لدى تاجرى الجملة الكيميائين جنكز وهيل؟.

– نعم..

– هل ذكرت لنا ما هذه القصاصة من الورق؟.

وقدم له المستند.

– انها قصاصة من احدى بطاقتنا البطاقات التى تلصقها على أنابيب أقراص المورفين.

هل أنت واثق من ذلك؟.

– نعم انها من أنبوبة هيدروكلوريد آبومورفين.

– أليست بطاقة أنبوبة هيدروكلوريد المورفين؟.

– لا.. لا يمكن أن تكون كذلك.

– لماذا؟.

– فى الحالة الأخيرة يكتب حرف الميم فى مورفين كبيرا ونهايته حرف الميم هنا كما أراه بالعدسة المكبرة بوضوح يدل على أنه جزء من حرف الميم صغيرا وليس كبيرا.

– أرجو أن تدعنى اقدم القصاصة للمحلفين ليفحصوها بالعدسة المكبرة... وهل معك بطاقات تستشهد بها على ما قلت؟.

وقدمت البطاقات للمحلفين ليفحصوها..

ثم تابع سير ادوين استجوابه:

– قلت ان تلك القصاصة من أنبوبة هيدروكلوريد آبومورفين؟..

ـ ما هو بالضبط الهيدروكلوريد آبومورفين؟.

– ان رمزه الكيميائى هو: ك ١٧ يد ١٧ ز أ ٢ وهو أحد مشتقات المورفين.

– وما هى خصائص الآبومورفين؟.

– انه اسرع وأقوى عقار للقئ عرف للآن فتأثيره يظهر بعد دقائق قليلة.

– اذن فانه اذا تناول شخص جرعة كبيرة من المورفين أو أعطى حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فما الذى يحدث؟.

– يبدأ القئ فورا ويطرد الجسم المورفين.

– اذن لنفرض ان اثنين اشتركا فى تناول (سندوتش) أو الشرب من أبريق الشاى نفسه وان أحدهما أعطى حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فماذا تكون النتيجة على فرض أن الغداء أو الشراب الذى شارك فيه الآخر كان محتويا على مورفين؟.

– يخرج الأكل والشراب وكذلك المورفين فى القئ الذى يحدث للشخص الذى حقن بالهيدروكلوريد آبومورفين.

– وهل تحدث عواقب سيئة لمثل ذلك الشخص؟.

– لا.

وفجأة ظهرت حركة اهتمام فى قاعة المحكمة وأصدر القاضى

أمرا بالصمت.

* * *

- هل أنت أميليا مارى سيدلى وتقيمين فى رقم ١٧ تشارلى ستريت فى بونامبا بأوكلاند؟.

- نعم.

- أتعرفين سيدة اسمها مسز دريبر؟.

- نعم لقد عرفتها منذ اكثر من عشرين عاما.

- أتعرفين اسمها الحقيقى.

- نعم فقد حضرت زواجها.. اسمها مارى رايلى.

- هل هى من أبناء نيوزيلندا؟.

- لا.. لقد حضرت من انجلترا.

- هل كانت فى المحكمة منذ بدء المحاكمة؟.

- نعم.

- أين رأيتها.؟

- رأيتها تشهد من فوق هذه المنصة.

- تحت أى أسم؟.

- جيسى هويكنز.

ـ هل أنت واثقة تماما أن هذه الجيسى هوبكنز هى المرأة التى تعرفينها باسم مارى رايلى أو دريبر؟.

- لا شك فى ذلك.

- ومتى كانت آخر مرة رأيت فيها مارى دريبر قبل أن تريها هنا اليوم؟.

- منذ خمسة أعوام.. فقد ذهبت الى انجلترا..

فقال سير ادوين وهو ينحنى للادعاء:

- الشاهدة أمامك ولك أن تسألها.

ووقف سير صامويل وقد ظهرت على وجهه الحيرة وقال:

- أظن انك يا مسز سيدلى قد تكونين مخطئة.

- أنا لست مخطئة.

- قد يكون سبب ذلك وجود بعض التشابه.

- أنا أعرف مارى دريبر معرفة كافية.

- ان الممرضة هوبكنز هى ممرضة حى رسمية.

- لقد كانت مارى دريبر ممرضة فى مستشفى قبل زواجها.

- هل تدركين انك بذلك تتهمين شاهدى الإدعاء بالكذب فى شهادتهما؟.

- أنا أدرك ما أقول.

– أنت ادوارد جون مارشال وقد عشت بضعة أعوام فى أوكلاند بنيوزيلندا وتقيم الآن فى رقم ١٤ رن ستريت فى دبتفورد أليس كذلك؟

– بلى.. هذا صحيح.

– هل تعرف مارى دريبر؟.

– لقد عرفتها عدة أعوام فى نيوزيلندا.

– هل رأيتها فى المحكمة هنا اليوم؟.

– نعم.. لقد أسمت نفسها هوبكنز.. ولكنها مسز دريبر نفسها.

ورفع القاضى رأسه..

ـ وقال فى صوت واضح ثاقب:

– أظن أنه من المرغوب فيه أن تستدعى الشاهدة جيسى هوبكنز.

فترة صمت.. ثم همهمة.

– سيدى القاضى.. لقد غادرت جيسى هوبكنز قاعة المحكمة منذ بضع دقائق.

* * *

هركيول بوارو:

ووقف بوارو على منصة الشهادة وأقسم اليمين وفتل شاربه وانتظر وقد مال رأسه الى اليسار ثم ذكر اسمه وعنوانه ومهنته.

– اتذكر هذا المستند يا مسيو بوارو؟.

- بالتأكيد.. أنه الخطاب الذى كتبته الميزا رايلى زوجة المدعو جيرارد قبل وفاتها.

- كيف حصلت عليه؟.

- لقد أعطتنى إياه الممرضة هوبكنز.

فقال سير ادوين:

- بعد استئذانك يا سيدى القاضى سأقرأ المستند بصوت مرتفع وبعد ذلك يمكن تقديمه للمحلفين.



بريئة أم مذنبة

مــرافـعـــة الدفـــاع : حــضـــرات المحلفين.. أن المسؤولية تقع عليكم الآن..

ولكم ان تقـولوا مـا اذا كان من حق اليـانور كـارليسـل ان تخـرج من قاعـة المحكمـة حـرة طليـقـة.. فـاذا كنتم بعـد الإثبـات الذى سـمـعـتـمـوه تجدون انكم على يقين من ان اليانور كارليسل قد سممت مارى جيرارد فان من واجبكم عندئذ أن تعلنوا انها مذنبة.

ولكن اذا وضح لكم ان هناك دليـلا قـويا مـثل السـابق أو أقـوى منه يدين شـخصـا آخـر فـان من واجبكم عندئذ (إطلاق سـراح) المتهمـة على الفور.

ولابد انكم قد تحققتم الآن ان وقـائع القـضـيـة مـختلفـة جـدا عـمـا كانت تبدو فى بادئ الأمر.

فبالأمس بعد الشهادة والإثبات (الدراماتيكى) الذى قدمه لنا مسيو بوارو استدعيت شهودا آخرين لأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الفتاة مارى جيرارد كانت الابنة غير الشرعية للورا ويلمان ومتى ثبت هذا فان

ذلك يعنى أن أقرب قريب لمسز ويلمان لم تكن اليانور كارليسل ابنة أخيها ولكن ابنتها غير الشرعية التى كانت معروفة باسم مارى جيرارد وعلى ذلك فان مارى جيرارد ورثت عند موت مسز ويلمان ثروة طائلة.. هذا ايها السادة لب الموضوع. مبلغ فى حدود مائتى ألف من الجنيهات ورثته مارى جيرارد ولكنها لم تكن تدرك تلك الحقيقة كما انها كانت أيضا غير مدركة للشخصية الحقيقية للمرأة هوبكنز وقد تظنون أيها السادة انه ربما كان لدى مارى رايلى أو ديير سبب مشروع لتغيير اسمها الى هوبكنز فاذا كان الامر كذلك فلماذا لم تذكر لنا ذلك السبب؟

ان كل ما نعرفه هو ما يلى:

ـ انه بإيحاء من الممرضة هوبكنز كتبت مارى جيرارد وصية تركت فيها كل شئ لمارى رايلى شقيقة اليزا رايلى ونحن نعرف ان مهنة الممرضة هوبكنز تمكنها من الحصول على المورفين وعلى الأبومورفين وانها كانت تدرك خصائص كل منهما.. يضاف الى ذلك انه قد ثبت ان الممرضة هوبكنز لم تقل الصدق عندما زعمت ان رسغها قد وخزته شوكة من شجرة ورد ليس بها أشواك.

فلماذا كذبت ان لم تكن تريد أن تقدم بسرعة سببا لوجود العلامة الناجمة من ابرة الحقن.. وتذكروا أيضا ان المتهمة قد أقسمت على انها عندما انضمت الى الممرضة هوبكنز فى المطبخ وجدت انها كالمريضة وأن وجهها كان به شحوب وهو أمر مفهوم اذا كانت قد تقيأت قيئا شديدا.

وسأوجه أنظاركم الى نقطة أخرى وهى أن مسز ويلمان لو كانت قد عاشت أربعا وعشرين ساعة اخرى لكتبت وصيتها ومن المحتمل

جدا أن تلك الوصية كانت ستحوى شرطا تهب به مارى جيرارد جزءا طيبا من ثروتها ولكنها لم تكن لتترك لها كل ثروتها ما دام الاعتقاد الذى كانت تؤمن به مسز ويلمان هو ان ابنتها غير المعترف بها ستكون أسعد اذا بقيت على حياتها التى نشأت عليها.

وليس من حقى أن أعلق على الشهادة ضد شخص آخر الا اذا ظهر لكم ان هذا الشخص الآخر كانت لديه ظروف متكافئة ودافع قوى لارتكاب الجريمة.

ومن خلال وجهة النظر هذه أضع بين أيديكم يا حضرات السادة المحلفين القضية المقامة ضد اليانور كارليسل وقد انهارت تماما.

* * *

من تلخيص القاضى للمحلفين عن القضية:

(.. يجب ان تكونوا على يقين تماما من أن تلك المرأة فعلا قد قامت بتقديم جرعة قاتلة من المورفين لمارى جيرارد يوم ٢٧ من يوليو فاذا لم تكونوا مقتنعين يجب عليكم إطلاق سراحها).

(وقد ذكر الادعاء ان الشخص الوحيد الذى كان بإمكانه تقديم السم الى مارى جيرارد هو المتهمة وقد حاول الدفاع ان يثبت انه كان هناك إمكانيات أخرى فهناك النظرية القائلة بأن مارى جيرارد قد تكون انتحرت ولكن الدليل الوحيد الذى يؤيد تلك النظرية هو ان مارى جيرارد قد كتبت وصيتها قبيل موتها.. وليس هناك أى دليل على أنها كانت يائسة أو غير سعيدة أو فى حالة عقلية تؤدى بها الى إنهاء حياتها كما قيل أيضا ان المورفين قد يكون قد قدمه فى

(السندوتشات) شخص دخل المطبخ خلال الفترة التى غابت فيها اليانور كارليسل.. فى هذه الحالة يكون السم مقصودا به اليانور كارليسل ويكون موت مارى جيرارد قد حدث بطريق الخطأ أما الاحتمال الآخر الذى أشار اليه الدفاع فهو ان شخصا آخر كانت لديه إمكانيات مشابهة لتقديم سم المورفين وفى تلك الحالة يكون السم قد قدم فى الشاى وليس فى (السندوتشات) ويؤيد تلك النظرية الشاهد ليتلديل الذى استدعاه الدفاع والذى اقسم ان قصاصة الورق التى وجدت فى المطبخ جزء من بطاقة توضع على أنبوبة تحوى أقراص آبومورفين وهو عقار قوى للقئ وقد قدمت لكم نماذج من بطاقات العقارين وفى نظرى أن (البوليس) أهمل إهمالا شديدا فى عدم التحقق من القصاصة قبل أن يسرع بالتقرير بأنها بطاقة مورفين.

وقد ذكرت الشاهدة هوبكنز ان شوكة من شجرة ورد بجوار الكوخ قد وخزت رسغها وقد فحص الشاهد وارجريف تلك الشجرة وقرر ان ليس بها أشواك وعليكم ان تقرروا ما الذى سبب العلامة على رسغ الممرضة هوبكنز ولماذا كذبت بشأنها.

فاذا كان الادعاء قد أقنعكم. ان المتهمة وحدها قد ارتكبت الجريمة فعليكم اذن ان تقرروا ان المتهمة مذنبة.

واذا كانت النظرية الأخرى المقدمة من الدفاع ممكنة ومتفقة مع الوقائع فيجب (إطلاق سراح) المتهمة.

وأنا أطلب منكم أن تدرسوا قراركم فى شجاعة وحكمة والا تقيموا وزنا الا للأدلة التى قدمت اليكم.

وأحضرت اليانور مرة أخرى الى (قاعة) المحكمة.

ودخل المحلفون.

- حضرات المحلفين.. هل اتفقتم على قرار؟

- نعم.

- انظروا الى السجينة فى القفص وقولوا هل هى مذنبة أو غير مذنبة

- غير مذنبة.



الذهاب الى مكان بعيد

أخرجوها من باب جانبى.. وكانت هناك بعض وجوه ترحب بها.. هناك رودى. والمخبر ذو الشوارب الكبيرة ولكنها استدرت نحو بيتر لورد. وقالت:

– أريد أن اذهب الى مكان بعيد.

وكانت تجلس معه فى السيارة الديملر التى كانت تغادر لندن مسرعة.. لم يقل لها شيئا وكانت تجلس فى هذا السكون السعيد وكل دقيقة تمر.. تدنيها من حياة جديدة.. وهذا هو ما كانت تطلبه.... حياة جديدة.

وقالت فجأة:

– أريد أن أذهب الى مكان هادئ.. ليس فيه أية وجوه.

فقال بيتر لورد فى هدوء:

– ان كل شئ قد رتب أمره.. انت ذاهبة الى مصحة.. مكان هادئ، وحدائق جميلة.. ولن يضايقك أحد.

فقالت فى تنهد:

- نعم.. هذا ما أرغب فيه..

لقد رأت ان مهنته كطبيب هى التى جعلته يفهم.. أنه يعرف ومع ذلك لم يضايقها.. أية سعادة تشعر بها وهى معه هنا تبتعد عن كل شئ.. عن لندن.. متجهة نحو مكان أمين.

لقد كانت تريد أن تنسى كل شئ يتصل بالحياة القديمة والعواطف القديمة.. لقد أصبحت مخلوقة جديدة، غريبة بلا قوة على الدفاع، تبدأ الحياة مرة أخرى من جديد.

والآن لقد أصبحا خارج لندن مخترقين الضواحى فقالت أخيرا:

- أننى لا أعرف كيف أشكرك.

فقال بيتر لورد:

- الشكر لمسيو بوارو.. ذلك الشخص الساحر.

ولكن اليانور هزت رأسها وقالت فى عناد:

- بل لك أنت.. أنت الذى أحضرته وجعلته يفعل ما فعل.

وابتسم بيتر وقال:

- لقد جعلته يفعل ذلك حقا.

فقالت اليانور:

- هل كنت تعرف اننى لم ارتكبها أو انك لم تكن واثقا؟.

فقال بيتر فى بساطة:

- لم أكن قط واثقا تماما.

فقالت اليانور:

- ولهذا السبب كدت أقول فى البداية اننى مذنبة.. لأننى كما ترى، قد فكرت فى الجريمة.. فكرت فى ذلك يوم ان ضحكت وأنا واقفة خارج الكوخ.

فقال بيتر:

- نعم.. أعرف ذلك.

فقالت فى عجب:

- يبدو الأمر الآن غريبا.. ففى ذلك اليوم الذى أعددت فيه (السندوتشات) كنت أفكر هل أضع لها السم لتموت ويعود رودى الى؟

فقال بيتر لورد:

- ان بعض الناس يشتط بهم الخيال فى مثل تلك المواقف.. وهو شئ غير ضار حقا.. ففيه ترويح عن المشاعر وتنفيس للعواطف المكبوتة.

فقالت اليانور:

- نعم.. هذا حقيقى.. لأن ذلك الشعور ذهب بعد ذلك فجأة وعندما ذكرت تلك المرأة شجرة الورد خارج الكوخ هدأت ثائرتى.

- ثم أضافت وهى ترتعش.

وبعد ذلك عندما رجعنا الى غرفة الجلوس وكانت مارى تموت ساءلت نفسى هل هناك فرق كبير بين التفكير فى الجريمة وارتكابها؟

فقال بيتر لورد:

- فرق كبير جدا فالتفكير لا يسبب أى ضرر.

فصاحت اليانور:

- أوه.. أنت شخص مطمئن.

فقال بيتر لورد:

- لا.. هذا هو المنطق.

فقالت اليانور وقد اغرورقت عيناها بالدموع فجأة؟

- فى المحكمة كنت بين حين وآخر انظر اليك.. وكان ذلك يبث فى الشجاعة.. فقد كان مظهرك كما عهدته وكما تعودت ان أراه..

- أفهم ما تعنين، عندما يكون المرء وسط كابوس فالأمل الوحيد بالنسبة له هو الشئ الذى تعوده وعلى كل حال فالأشياء المعتادة هى أفضل الأشياء..

وللمرة الأولى منذ ركبت السيارة أدارت رأسها ونظرت اليه وفكرت.

- ان وجهه لطيف.. لطيف ومطمئن.

واستمرت السيارة فى طريقها حتى وصلت الى بوابة مرت منها لتسير فى طريق ملتو حتى وصلت الى منزل أبيض هادئ بجانب تل وهناك قال:

- ستكونين فى أمان تام هنا ولن يضايقك أحد.

وفى حركة لا شعورية وضعت يدها على ذراعه وقالت:

- وأنت.. هل ستحضر لترانى؟.

- طبعا.

- كثيرا؟.

- ذلك يتوقف على رغبتك.

- اذن أرجوك أن تحضر..

قال بوارو:

- هأنتذا ترى يا صديقى ان الأكاذيب التى يقولها الناس هى أيضا ذات نفع مثل الحقائق.

فسأله بيتر لورد:

- هل كذب عليك الجميع؟

- أوه.. نعم.. لسبب أو أكثر.. والشخص الوحيد الذى كان من واجبه ان يقول لى الحقائق كان يمتاز بالحساسية من تلك الناحية.. هذا الشخص هو الذى حيرنى أكثر من أى شخص آخر.

- اليانور.

- تماما.. اذ ان الأدلة كانت تشير اليها وهى لا تحاول عمل أى شئ لإثبات براءتها بل انها كانت تتهم نفسها باعتقادها أن الرغبة، - ان لم يكن الفعل نفسه، - هو ما يثقل ضميرها حتى انها كادت تعترف بالذنب فى أول المحاكمة.

- أمر لا يصدق.

- ولكنه الواقع يا صديقى لأنها تحكم على نفسها بمقياس أدق من المقياس الذى يعيش به أكثر الناس.

- أنت على حق فى ذلك.

وهنا مضى بوارو فى حديثه فقال:

- من اللحظة الأولى التى بدأت فيها تحرياتى كان هناك دائما احتمال كبير هو أن تكون اليانور قد ارتكبت الجريمة التى اتهمت بها ولكننى وفيت بوعدى لك وكشفت ان الاتهام قد يوجه بدرجة أكبر نحو شخص آخر.

- الممرضة هوبكنز؟

- ليس فى أول الأمر فقد جذب انتباهى رودريك ويلمان اذ أنه كذب حين قال:

ـ أنه غادر إنجلترا يوم ٩ من يوليو وعاد فى اليوم الاول من أغسطس لأن الممرضة هوبكنز ذكرت عرضا أن مارى جيرارد رفضت رودريك ويلمان من ايد وإحداهما فى ميدنز فورد والثانية فى لندن.. وأنت تذكر اننى قلت لك ان لى صديقا من اللصوص طلبت منه المساعدة وبذلك عرفت من جواز سفر رودريك أنه كان فى إنجلترا من ٢٥ الى ٢٧ من يوليو فلماذا كذب على متعمدا وتلك الفترة التى غابتها اليانور عن المطبخ.. اذا كان رودريك ويلمان هو الشخص الذى وضع السم فان الضحية المقصودة كانت اليانور وليست مارى فان دافع لدى رودريك لقتل اليانور؟.

كان هناك دافع قوى هو أنها كتبت وصية وهبت له بها كل شئ ومن

أسئلتى له علمت انه قد يكون عالما بمحتويات الوصية.

فسأله بيتر لورد:

- ولماذا قررت انه غير مذنب؟.

- بسبب كذبة ثانية تمتاز بالغباء والحماقة اذ قالت الممرضة هوبكنز انها وخزت رسغها بشوكة شجرة ورد فذهبت لأر تلك الشجرة فلم أجد بها أشواكا.. اذن كذبت الممرضة كذبة لا معنى لها وهذا ما جذب انتباهى اليها.. فبدأت اتقصى عنها، وفجأة تذكرت انها عرفت شيئا خاصا بمارى جيرارد وأنها، بطريقتها الخاصة، تبذل معظم اهتمامها حتى يعرفه الناس.

- لقد ظننت ان الأمر على عكس ذلك.

- فى الظاهر نعم فقد كانت تؤدى ببراعة دور شخص يعرف سرا ولكنه لن يفشيه ثم عندما قابلت الممرضة أوبريان أيقنت انها قد استخدمتها ببراعة فتأكد ظنى من أن للممرضة هوبكنز غرضا آخر..

وقارنت بين أكذوبتها وأكذوبة رودريك ويلمان وساءلت نفسى هل لكل منهما سبب يدفع الى تلك الكذبة ففى حالة رودريك كان الإيضاح أنه خجل من عدم إمكانه المحافظة على وعده بالبقاء فى الخارج فترة من الزمن لا يرى فيها مارى جيرارد وهذا ما جعله يكذب أما فى حالة الممرضة هوبكنز فكنت كلما فكرت فى كذبتها زادت شكوكى نحوها وهنا بدأت أسأل نفسى من الذى سرق منه المورفين؟.. هوبكنز.. من كان فى إمكانه إعطاء مسز ويلمان المورفين؟ هوبكنز.. ولكن لماذا تجذب الأنظار الى فقدان المورفين؟ كانت هناك إجابة واحدة على ذلك

السؤال فى حالة أن تكون هويكنز هى الجانية الا وهو لأن الجريمة الأخرى جريمة قتل مارى جيرارد. كانت قد أعدت ورسمت وأنه قد اختير لذلك ضحية وان تلك الضحية يجب أن يكون لديها الفرصة لأخذ المورفين.

عندئذ بدأ اللغز يتضح قليلا.. الخطاب الصادر من مجهول والذى أرسل الى اليانور كان الغرض منه إساءة العلاقة بين اليانور ومارى.. حضور اليانور لمحاولة الحد من تأثير مارى على مسز ويلمان ثم واقعة غرام رودريك ويلمان بمارى التى لم تكن فى الحسبان ولكن سرعان ما استغلتها الممرضة هوبكنز ورأت هناك دافعا كاملا للضحية اليانور.

وهنا تساءلت ما السبب فى الجريمتين وخاصة قتل مارى جيرارد؟

هنا بدأت أجد ضوءا ضئيلا هو أن لهويكنز تأثيرا كبيرا على مارى وآية ذلك انها دفعتها الى كتابة وصية ولكن التى تفيد من الوصية ليست هوبكنز بل خالة لمارى كانت تسكن فى نيوزيلندا وهنا تذكرت ملاحظة عابرة من أحد سكان القرية اذ ذكر لى أن تلك الخالة كانت يوما ممرضة فى مستشفى.. عندئذ لم يعد ذلك الضوء ضئيلا ولذلك كانت زيارتى الثانية للممرضة هويكنز ومثل كلانا دوره فى حذق وفى النهاية زعمت أنها قد أقنعت بمحاوراتى واطلعتنى على ما كانت تهدف اليه طوال الوقت الا وهو سر مولد مارى.. وعندئذ تيقنت يا صديقى لأن ذلك الخطاب فضحها.

– كيف..

– لقد كان مكتوبا على الغلاف:

(يرسل الى مارى بعد موتى) وليس يسلم لمارى.. فعرفت أن هناك مارى أخرى وأنها مارى رالى أخت اليزا.. والواقع أن هوبكنز لم تعثر على هذا الخطاب فى الكوخ بين أوراق جيرارد، ولكنه كان معها منذ سنوات وأنها تسلمته فى نيوزيلندا حيث أرسل اليها بعد موت أختها، وان هوبكنز هى خالة مارى جيرارد، وبالرجوع الى بوليس نيوزيلندا عرفت أن الممرضة رالى كانت تعنى بسيدة عجوز كان موتها الفجائى موضع دهشة طبيبها المعالج، ثم ظهر أنها خصت رالى فى وصيتها ببعض المال.. كما عرفت أن زوج رالى هذه أمن على حياته ثم مات ولكن لسوء حظها نسى الزوج أن يرسل (الشيك) للشركة.. وكذلك تروج إشاعات عن حوادث قتل من هذا القبيل حول هذه الممرضة.. وأخيرا قدمت الى هذه البلاد واتخذت اسم هوبكنز (وهو اسم زميلة سابقة لها ماتت فى الخارج) ويبدو أنها لم توفق فى ابتزاز النقود بالتهديد من مسز ويلمان. ولما اشتد المرض بالأخيرة وطلبت أن تكتب وصيتها حرصت هوبكنز على أن تموت السيدة دون أن تكتبها حتى تكون الوارثة ابنتها غير الشرعية.. وكانت قد وثقت علاقتها بمارى جيرارد واستطاعت أن تخضعها لنفوذها فأصبح كل ما عليها هو أن تحرض الفتاة على كتابة وصية تترك فيها ما تملك لخالتها ثم تقتلها فى الوقت المناسب. واستعانت بالبومورفين لانقاذ نفسها من الشاى المسمم الذى اعدته بيدها. ويبدو أنها كانت تزمع دعوة اليانور الى كوخها فجاءت هذه وهيأت لها الفرصة.

ثم التفت الى الدكتور لورد وقال له باسما:

- وقد حاولت أنت بدورك أن تكذب على بقصة السيارة وقصة

علبة الثقاب فقد حملت البستانى على القول بأنه رأى سيارة فى الطريق ثم ادعيت أنها لم تكن سيارتك وانما سيارة شخص غريب. والآن ماذا كنت تصنع فى ذلك الصباح.

- علمت أنها مضت الى المنزل فأردت أن أراها وقد شاهدتها من النافذة وهى تقطع السندوتش وظللت أراقبها الى ان اختفت.

- هل أحببت اليانور حبها جارفا؟

- من اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليها.

- أنها فى حاجة اليك.

- لقد دعتنى الى زيارتها كثيرا. قل لى هل كانت هوبكنز تنوى حقيقة كشف الستار عن علاقة مارى جيرارد الحقيقية بمسز ويلمان.

- هو ذلك يا أبله. ثم اذا ثبت أنها الوارثة الوحيدة لها انحدرت الثروة الى مارى رالى.. أى الى الممرضة هوبكنز نفسها خالة القتيلة.

تمت



